ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1114 - الجمعة 27 ربيع الأول 1426 هـ - الموافق 6 ماي 2005

العمل في الإسلام

موقف الطبري من تأويل القرآن الكريم

القرآن تربية لإنسان الحضارة، على حضارة الإنسان

مراعات الخلاف عند المالكية

الصحراء المغربية وثوابت القيم الوطنية

(5)

إن نداء أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس دام له النصر والتمكين الذي ألقاه بمناسبة الذكرى 29 للمسيرة الخضراء كان نداء حكيما وهادفا ومفيدا.

وعلى ضوء تلك التوجيهات السامية التي كنا في أمس الحاجة إليها صغت عرضي هذا بالأسلوب الذي سمعتم لكي تعلم الأجيال الصاعدة أن الصحراء المغربية منذ أن عرفها التاريخ إلى يومنا هذا هي جزء لا يتجزأ من المغرب وقد أرفقت هذه الكلمة بنماذج من أرقام وتواريخ مجموعة من الوثاق تؤكد ما جاء في كلمتي، وليعلم الرأي العام الوطني والدولي أننا أصحاب حق وأرباب مشروعية لا نتخلى عن حقنا ولا نتنازل عن وحدتنا التي عبرنا عنها بإرادتنا بكل حرية أمام المحافل الدولية وفي جميع مراحل تاريخنا كما عبر عن ذلك آباؤنا وأجدادنا عبر التاريخ.

هذا النداء التاريخي لجلالة الملك أعزه الله ونصره الذي كان له أكبر الوقع وأبلغ الأثر بأن قوض أهراما بنيت من الزيف والباطل والتحريف جعلت سدا منيعا في وجه من يدافع عن الحق المغربي بالحجج التي لا تقبل الطعن كي لا يدخل ساحة التعريف بعدالة قضية وحدتنا الترابية والدفاع عنها وفضح أطروحة الرأي الآخر... التي عانينا منها وألمتنا كثيرا نحن الوحدويين.

إن ما تطالعنا به بعض الصحف والمجلات الإعلامية من المقالات المغرضة والزائفة من تحامل على وحدة الوطن يجعلنا نتوجس خيفة من عدم الاطلاع على تاريخ وحدتنا الواقعي، فالأقلام المأجورة والمسمومة تصيبها انزلاقات تضر بالفهم الصحيح لقضيتنا الوطنية مما يتسبب في نشر قراءة مغلوطة عن تاريخنا نخاف أن تذهب بعيدا بالناشئة المتطلعة عن معرفة تاريخ بلدها الصحيح. وإن تكرار انعقاد ندوات من هذا الحجم للحديث عن وحدتنا الترابية كفيل بإرجاع مقدساتنا الوطنية على غرار ما يقوم به النادي الديبلوماسي المغربي مشكورا.

إخواني أخواتي:

إنني لم أتحدث وعن قصد عما وصلت إليه قضيتنا الوحدوية لأنه معروف عايشت مشواره بعجره وبجره منذ سنة 1956م إلى آخر قرار للأمين العام.

أرجو أن يتوقف هذا النزيف المختلق الذي أصاب قضيتنا الوطنية واستشرى حتى صيرنا كمحتطب بليل دامس أيدوس أفعى أم يلامس عقربا؟ وأن تختفي من الساحة كل الأطروحات الباطلة التي يراد منها طمس الحقائق وتوريط الشعوب وتشرذمها وإضعافها وتزييف تاريخها.

وليعلم الكل أننا أمة سلم ومشروعية لا نعتدي على الغير ولا نرضى منه أن يساوم هضم حقوقنا.

إن هذه التطورات المخيفة التي أصابت ملف الصحراء المغربية ما كان لها أن تظهر على الساحة الدولية حتى نضطر إلى اتخاذ مواقف لا مناص عنها في علاج قضيتنا الوطنية المقدسة لولا خلط الأوراق بصفة متعمدة، وتهميش الشريحة الوحدوية الواعية المؤثرة من أبناء الصحراء المغربية الأصليين، زيادة على ما حيك من مؤامرات ضد استكمال وحدتنا المشروعة لأن أبناء الصحراء المغربية الحقيقيين لا يمكن أن يخونوا بحال من الأحوال واجب البيعة الشرعية التي نعتز بها ونوفي بواجبها للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه جلالة الملك محمد السادس أعزه الله ونصره، وإننا لعلى يقين كامل أن حكمة أمير المؤمنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك المعظم محمد السادس أعزه والله ونصره ستذلل كل الصعاب، وسيحقق أعزه الله لشعبه كل ما يطمح إليه من صيانة وتثبيت مكاسبه المشروعة واطراد تقدمه وازدهاره تحت قيادته الرشيدة. وإن خطوات جلالته الموفقة في حله للمشاكل المستعصية تجعلنا نطمئن على الحفاظ على وحدتنا ترابيا وبشريا، هذا ولا يفوتني أن أشكر من أعماقي الأستاذ المحترم السفير السيد أحمد السنوسي المقرر والناطق الرسمي باسم الندوة الذي عرفته وسبرته في مواقف وطنية جمعتنا تهم قضيتنا هاته في الداخل والخارج، ولاحظت تحدياته لبعض الجهات النافذة آنداك دفاعا عن وحدتنا الترابية فله مني كامل التقدير وموفور الاحترام لوفائه وإخلاصه اللامشروط لمقدساتنا الوطنية، كما أشكر رئيس النادي الديبلوماسي السيد أحمد الإدريسي وباقي أعضاء النادي وكل من ساهم في إنجاح هذا الملتقى من بعيد أو قريب، وتجدر الإشارة إلى أنني أرفقت هذا العرض بنماذج من بعض الظهائر المعين بها البعض من مسؤولي الصحراء المغربية قبل الوجود الأجنبي بها ونماذج من رسائل بعض قادة الصحراء المغربية لسلاطين المملكة تؤكد ما جاء في العرض لمن أراد الاطلاع عليها، ولا يضر الشمس إطباق الطفل.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-17-

نتابع في هذا الحديث الوقفة الإسلامية التي وقفها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة بجبل عرفات في الحجة العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وحجة البلاغ إنها اللحظة التي أنزل الله فيها على رسوله صلى الله عليه وسلم "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا (الآية الثالثة من سورة المائدة).

وشرع الصحابة رضي الله عنهم يسجلون بحروف من ذهب ماينطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعر أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لحظة الوداع قربت فما دام الله عز وجل أكمل دينه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل مهمته وبلغ رسالته، وإذا كان اللقاء الأول مع الوحي انطلق من جبل مكة في غار حراء، فإن اللقاء الأخير اختار الله له جبل عرفات في يوم عرفة، اللقاء الأول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده في الغار، ولكن اللقاء الأخير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاطا بأكثر من مائة ألف حاج ومستمع والله يقدر ويختار وهو على كل شيء قدير.

في الفقرة الرابعة من الوصية النبوية يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمعين الحاضرين ومن سيبلغ إليهم الخطاب في الحياة الإسلامية من أنصاره ومن غيرهم في حوار استفهامي بالسؤال والجواب بألفاظ تعبر عن معاني جديدة وصور جديدة للدين، وإذا كان المسلمون يعرفون أن الإسلام هو أن تشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، وأن الإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع أربعة أسئلة يعيش معها كل من آمن بالله ورسوله سلوكا وعملا وامتزاجا بالمجتمع، لايكفي في المنهج الإسلامي أن تومن وتصلي وتصوم، ولكن المنهج الإسلامي تفاعل وتعامل وانضباط وتصرف به يعرفك الآخر ويعيش معك ويندمج في سلوكك بثقة كاملة، وقلب مفتوح، ولهذا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطابه الحاضرين أربعة أسئلة وأعطاهم الجواب حتى يحقق الهدف بضبط ثقافة المسلم وحياته الاجتماعية وسلوكه الفعلي مع الناس، فكان السؤال الأول: من المسلم؟ أي ما هي التصرفات التي تقدم الإنسان بصفته الحقيقية للغير، وأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السؤال حتى لاتتعدد الصور، فقال عليه الصلاة والسلام: "المسلم من سلم الناس من لسانه ويدهُ لاإله إلا الله، إن السلوك العملي والحياة الاجتماعية والتعامل مع الغير هو روح الإسلام وهدفه، في فن السلوك عنصران أساسيان لإظهار الإنسان بما يخفيه في قلبه وفؤاده، وليكشف أنه حقيقة "مسلماً المسلم أن يسلم الناس من لسانه، فلا يقول إلا الخير، ولايتكلم إلا بالحق، ولايؤذي أحدا بكلمة أو حرف بحق أو باطل، فإذا مسك الإنسان لسانه عن السلبيات في حق أخيه الإنسان فقد أظهر حقيقة دينه وإسلامه وكشف عن مقدار تربيته في إطار السلوك الإسلامي، فاللسان هو الذي يكشف عما في صدر الإنسان من انضباط وتفاعل مع مايومن به من قيم، فالكلمات النابية التي تخرج من لسان الإنسان كل ذلك عنوان يكشف عن العنوان الحقيقي للتربية والسلوك السلبي في المسلم، وتصرفه ذلك يبعده شيئا ما عن الهدف الذي جاء من أجله الإسلام وهو ضبط اللسان "قل خيرا أو اصمتْ المسلم من سلم الناس من لسانه، وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سلامة الناس عموما ولم يخصص ذلك بالمسلمين، فضبط اللسان يجب أن يتم مع الإنسان كيفما كان انتماؤه الديني، لأننا في ساحة السلوك والتعامل وهو ليست له حدود تعطيه لونا مع هذا ولونا آخر مع غيره، "من سلم الناسُ من أذاه هو نموذج المسلم الصحيح.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

عالمات جليلات اشتهرن بالفقه والتضلع فيه

ثلاث عالمات محدثات من أسرة الحافظ أبي الفضل العراقي

إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

الحلقة السابعة

المحدثات هن: جُوَيْرِيَةُ وزينب وبركة، وقبل الحديث عنهن ينبغي أن نتحدث عن والدهن الحافظ العراقي: اسمه: عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان، يلقب بالزين، ويكنى بأبي الفضل، أصله من أكراد العراق، انتقل والده إلى مصر وهو صغير مع بعض أقربائه، وكان والده من تلامذة الشيخ تقي الدين محمد بن جعفر بن محمد بن الشيخ عبد الرحيم القناوي الشافعي. لازم خدمه شيخه فلما رزقه الله ولدا أشار عليه بأن يسميه عبد الرحيم باسم جد الشيخ تقي الدين عبد الرحيم القناوي، وهو من المعتقد فيهم بمصر فسمى ولده عبد الرحيم، فنشأ في بيت صلاح وتقوى، وكانت والدته من الصالحات العابدات القانتات، من أهل مصر، وكان الولد عبد الرحيم نابغة وآية في الحفظ والذكاء، بدأ في الأخذ عن الشيوخ في سن مبكرة، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثماني سنوات، وحفظ كتاب التنبيه في فروع الفقه الشافعي للشيرازي (ت:476هـ) ويعد هذا الكتاب من أكثر الكتب تداولا في الفقه الشافعي، وحفظ أكثر ما في الحاوي الكبير في الفقه الشافعي كذلك للقاضي الماوردي، (ت: 450هـ) وهو في عشر مجلدات حفظ أكثره في شهر واحد، وحفظ كتاب الإلمام لابن دقيق العيد، ولازم الشيوخ في الدراسة بجد ومثابرة، وبدأ بعلوم القرآن الكريم، من قراءات وغيرها، واهتم بذلك غاية الاهتمام فقال له الشيخ عز الدين بن جماعة عندما رآه متوغلا في القراءات: إنه علم كثير التعب قليل الجدوى، وأنت متقد الذهن، فاصرف همتك إلى الحديث، ومن هنا أقبل الطالب عبد الرحيم العراقي على علم الحديث رواية ودراية، وتلقاه عن كبار شيوخ الحديث بمصر ثم عن شيوخ الشام، وبيت المقدس والحجاز بمكة والمدينة ، ورحل إلى الشيوخ هنا، وهناك، فكانت مشيخته تتكون من كبار العلماء المتضلعين في علم الحديث، رحل إليهم، ولازمهم، وساعده ذكاؤه وحافظته القوية على التفوق على كثير من علماء عصره، وشهدوا له بحفظه والبراعة فيه، وبالغوا في الثناء عليه، ووصفه عدد منهم بحافظ الوقت، وقال عنه الشيخ عز الدين بن جماعة: كل من يدعي الحديث بالديار المصرية سواه فهو مدع".

وقال عنه جلال الدين السيوطي في كتابه حسن المحاضرة:

"العراقي هو الإمام الكبير الحافظ زين الدين، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين ابن عبد الرحمن حافظ العصر، وله مؤلفات في الفن. علم الحديث. بديعة.".

وقال عنه المقريزي: "هو شيخ الحديث انتهت إليه رياسته" وللحافظ العراقي مؤلفات كثيرة منها:

الألفية في علم الحديث الشهيرة في هذا الفن.

"وفي السيرة النبوية، وفي غريب القرآن وله نظم الاقتراح لابن دقيق العيد، وكتاب المراسيل، وغيرها، كتخريج أحاديث الإحياء للغزالي وهو عمل جليل ومفيد. قال عنه السيوطي: "وشرع في إملاء الحديث من سنة ست وتسعين، فأحيا الله تعالى به سنة الإملاء بعد أن كانت داثرة، فأملى أكثر من أربعمائة مجلس، وكان صالحا متواضعا ضيق المعيشة، مات سنة ست وثمانمائه، ورثاه تلميذه الحافظ ابن حجر".

والحافظ العراقي تخرج عليه غالب أهل عصره، ولازمه صديقه الهيثمي صاحب الزوائد، وكذا برهان الدين الحلبي، وهو شيخ ابن حجر العسقلاني، وتخرج عليه ولده أحمد ولي الدين أبو زرعة، وقام بعده خير قيام، وابنتاه، جويرية، وزينب، وابنة ولده أحمد السيدة: بركة.

وعن جويرة يقول السخاوي في الضوء اللامع: "جويرية ابنة عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أم الكرام، ابنة الحافظ الزين أبي الفضل العراقي الأصل القاهري الشافعي، أخت الولي أبي زرعة أحمد، ولدت قبل سنة ثمان وثمانين وسبعمائة تقريبا، وأسمعت على أبيها، وابن أبي حاتم، والأبناسي والفرسيسي، والهيثمي وآخرين" هذه السيدة الجليلة درست الحديث على والدها زين الدين العراقي، وأخذت عنه، وعن جماعة من علماء الحديث في عصرها، سماهم السخاوي، وأجاز لها الحافظ الهيثمي وغيره، وكانت صالحة خيرة معتنية بالحديث، وسمع منها الأئمة، وأخذ عنها غير واحد، توفيت رحمها الله سنة ثلاث وستين وثمانمائة.

أما اختها زينب فقال عنها شمس الدين السخاوي في الضوء اللامع: زينب بنت عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أم محمد، ابنة الزين العراقي...

هذه السيدة المحدثة نشأت في بيت علم يتوافد عليه العلماء، وكان والدها قد ملأ وقته بالأعمال الفكرية، مابين تأليف، وتدريس، وبحث وتحقيق، وكانت تشهد مجالسه ودروسه، ومايتخلل ذلك من حوار في دقائق علم الحديث ومعرفة درجات الرواة في الضبط والإتقان والعدالة، ومعرفة نشأتهم العلمية، وحياتهم الفكرية، ومشيختهم، وماشغلوه من وظائف، ومالهم من مؤلفات وأبحاث في ميدان الحديث... وكانت تعي كل ذلك وتستفيد منه، فأخذت عن أبيها، وعن العلامة الفرسيسي، وابن الهيثم، وعن زين الدين أبي بكر المراغي، وأخذت كتب الحديث بالسند المتصل عن كبار شيوخ عصرها، وسمعت من مسند الإمام أحمد عن أبيها، وعن الهيثمي جميعه عن الخباز، والعرضي، وأجاز لها جماعة من العلماء المتخصصين في الحديث منهم: شهاب الدين أحمد ابن أبي بكر، وأبو الخير بن العلائي، وأحمد بن محمد بن راشد القطان، وأبو بكر بن عبد الرحمن المزي، وأبو هريرة ابن الذهبي، وتاج الدين بن موسى الكندي... وهؤلاء من أبرز شيوخ الحديث في عصرهم، وتزوجها أحد العلماء المرموقين، وأنجبت منه علماء توجد تراجمهم بين تراجيم علماء عصرهم، ومنهم محب الدين، وعبد الرحيم، وعبد القادر من زوجها الشهاب بن يعقوب.

وحجت ودرست، وسمع منها الفضلاء، وكانت رحمها الله خيرة فاضلة أفادت واستفادت، وخلفت ذكرا طيبا بين الآخذين عنها من العلماء، وبين مختلف أفراد مجتمعها، توفيت رحمها الله سنة:865هـ.

أما حفيدة الحافظ العراقي السيدة بركة ابنة ولده أحمد، وكنيتها أم أيمن، ووالدها خلف أباه، وكان يدعى بالحافظ وهو من كبار علماء عصره، فأم أيمن أخذت عن أبيها وجدها وحضرت دروسهما، ودروس رفيق جدها الحافظ الهيثمي، وأجاز لها علماء الحديث في عصرها مثل: أبي هريرة ابن الذهبي وأبي الخير ابن العلائي، وابن أبي المجد، وآخرين، وحدثت، وسمع منها العلماء والفضلاء.

توفيت رحمها الله سنة: 841هـ.

بالحديث عن العالمات المحدثات من آل الحافظ العراقي نجد أنفسنا أمام أسرة علمية بسائر أفرادها، أولادا، وأحفادا، وإخوة وأخوات، الجميع مهتم بالحديث النبوي الشريف، بحفظه، ودراسته، ومعرفة علومه، وطرقه، وعاليه ونازله، وكل مايتعلق به.

ورب هذه الأسرة الواعية الشيخ عبد الرحيم الحافظ العراقي رحمه الله كان من الأئمة الذين رزقهم الله حظا وافرا من العلم والأخلاق وسداد الرأي، والخوف من الله تعالى، أحبه الناس وأحبهم، أحاط نفسه بالعلماء والمحدثين والمهتمين مثله بعلوم الحديث، وكان منزله مدرسة متكاملة مابين قارئ ودارس وباحث... في جو علمي رائع يتنافس أفراده في إنجاز أعمالهم وأبحاثهم ودراستهم لخصائص الحديث ونوادره، والتعمق في فهم السنة النبوية، رواية ودراية...

فالمحدثات الفاضلات اللائي ذكرناهن وعرفنا بهن، كن من المساهمات في إذكاء هذا الجو المشار إليه، وفي انقطاع متواصل للعلم لامثيل له، وبذلك خلدن أنفسهن مع كبار المحدثين والمحدثات.

(تتمة ص1)

ولم يقتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على السلوك اللساني، بل أضاف له موقف أكثر يكمله وهو السلوك اليدوي، قد يسكت الإنسان ولايتكلم بسوء، ولكنه يفعل بيده مايتجاوز حدود الأثر الكلامي، قد يسرق، وقد يأخذ ملك غيره في حضوره أو في غيابه، وقد يفعل في جسم غيره مالا يفعله الأسد في صيده، ولا حاجة إلى البحث عن الأسباب، فليس هناك سبب يسمح للمسلم أن يعتدي على غيره بلسانه أو بيده، وكان إلحاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك في الخطاب بوضع السؤال والجواب عليه له دلالته في تربية المسلم وتكوينه.

ثم ينقل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى الجواب عن السؤال الثاني: من المؤمن؟ الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أنه يخاطب المؤمنين الذين رافقوه في حجته الوداعية من أجل أخذ الدين عنه، ولكن للإيمان شعب كثيرة وجزئيات متعددة بضع وسبعون شعبة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الموقف، والحضور المكثف للمسلمين في عرفات ويريد أن يبلغهم خلاصة الإيمان والإسلام في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إذا كانت عقيدة التوحيد متمكنة من الحاضرين والقيام بأداء الصلاة والزكاة وغيرهما من أركان الإسلام أمر مؤكد، فإن التطبيق العملي للدين يجب أن يكون موقعه البارز والظاهر في السلوك العملي والحياة الاجتماعية، لأن الإنسان كيفما كان لايعيش وحده ولكن يعيش مع غيره، يعيش مع زوجته وأولاده وأصهاره وجيرانه وأقربائه، ووجوده كعضو في البناء الإنساني يفرض عليه سلوكا معينا، فإذا أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم وأدى الأمانة وحافظ عليها يكون حقيقة اندمج في صلب الإيمان وانخرط في سبحة المومنين يذكر بالخير ويوصف بالأمانة، ويجمع إيجابيات الدين التي تقوم حياته.

ثم ينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم للسؤال الثالث: من المهاجر؟ ويجيب عليه الصلاة والسلام بكلمتين خفيفتين على اللسان ولكن تطبيقهما من طرف المؤمن المسلم يجعله في درجة عالية مع الله، إنه الإنسان الذي هجر الخطايا والذنوب، لاإله إلا الله، إن الابتعاد عن الخطايا والسلبيات والمنهيات ومايتنافى مع التوجيه الديني والتربية الإسلامية يرفع الإنسان المسلم إلى أن يصير مهاجرا في جميع أطوار حياته، هجرته لساحة السلبيات والذنوب تجعله في درجة عالية مع الله عز وجل ، أليس الدين فعل المأمورات واجتناب المنهيات؟ إفعل، ولاتفعل، هي الخلاصة التي تجعل الإنسان موصولا مع الله عز وجل، واجتناب الخطايا والذنوب يصيره مهاجرا في حياته كلها.

وينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السؤال الرابع، من المجاهد؟ الجهاد له تصورات، هناك جهاد بالتضحية بالنفس في حالة الدفاع عن الدين وعن أمة الإسلام وحماية أرض المومنين من الاحتلال والعسكرة، وهو أعلى مقامات الجهاد والذاتية، فإذا أمن الإنسان المسلم في أرضه وماله ونفسه فعليه أن ينتقل إلى جهاد آخر هو الجهاد في النفس بأن يحملها على طاعة الله والأنضباط مع أوامره وفعل الخيرات والصالحات والحسنات في مجتمعه بإعانة الضعيف والمحتاج، ومساعدة الفقير والجائع والمريض والعاجز والقاصر والصغير، إن الدخول إلى هذه الساحة لمن يستطيع فعله ترفعه إلى درجة المجاهدين الفعليين الحقيقيين الذين يطيعون الله ورسوله وهؤلاء هم الذين أجاب عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعهم في صف الجهاد الدائم طاعة لله عز وجل وتنفيذا لتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. نرجو الله أن يجعل أعمالنا كلها طاعة لله وإلى عدد قادم إن شاء الله.

الوثاق

إحكام التحقيق بأحكام التعليق

إعداد وتقديم الأستاذ : إدريس كـرم

الحلقة الخامسة

جمع العبد الفقير الى الله سبحانه محمد المدعو بدر الدين بن يحيى القرافي المالكي من ذرية العارف بالله ابن ابي جمرة رحمه الله ونفعنا به.

♦♦♦♦

الحمد لله الذي أمر عباده المومنين بالوفاء بالعقود، وحض على حفظ المواثيق والعهود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب اللواء المعقود وعلى آله واصحابه ذوي المآثر والجود، إلى اليوم المشهود، وبعد

♦♦♦♦

... ووجه عدم انحلال الإشهاد أن النقلة التي مع الزوج لم تكن بغير رضاها، حتى يأخذ التعليق مقتضاه، فلذا لما عادت إلى بيت أبيها ونقلها بعد أن امتنعت، فقد أخذ التعليق حده، وقد قال ابن رشد في البيان ما نصه: سئل مالك عمن نكح امراة وشرط في عقد النكاح لا يخرجها من المدينة إلا برضاها، فإن أخرجها بغير رضاها فأمرها بيدها، فأخرجها منها بإذنها له، ثم قالت له، بعد أن خرجت معه وأقام بها في ذلك الموضع، ردني إلى المدينة، قال أرى ذلك يلزمه.

ابن رشد يحتمل أنه رأى ذلك لها عليه، لأنه جعل التمليك على نيتها، ونيتها أن لا تسكن إلا بالمدينة، ويحتمل أنه رأى ذلك وهو المعنى، ولم يلتفت إلى اللفظ، وفرق في سماع عيسى عن ابن القاسم عدم اللزوم، وإن بالشرط، فهي ثلاثة أقوال انتهى.

♦♦♦♦

الفرق بين الطوع وبين الشرط في النكاح،

وفي التفريق بين الطوع والشرط ف سماع عيسى وحده قولان: إشعار بأنه على قول الإمام لا فرق بين الطوع والشرط وإن كان جوابه في الشرط لأن الغالب اشتراط هذه الشروط في العقد، وقوله بعد أن خرجت وأقام بها هو موضوع المسألة، لأنه الذي يقال فيه بالعود ولذلك أفتى الشيخ اللقاني المنقول قبيل نص ابن رشد هذا فرضه فيما إذا انتقلت بعد الإذن، فلو أذنت له وبدا لها الرجوع عن الإذن وعدم الرضى، أن لها ذلك، ولم أقف عليه نصا في هذه المسألة، لكن تقدم في الفصل الرابع عن المتيطية، أن لو شرط إن تزوج عليها فأمرها بيدها، ثم تزوج بإذنها، ثم رجعت قبل أن ينكح أن قول ابن القاسم في ذلك أنه ليس لها الرجوع، خلافا لما في الواضحة، إلا أن يفرق بينهما بشدة الضرر، بمفارقة بلدها، وقد أفتى بعض مشايخنا بأن لها الرجوع معللا بالضرر وفي حاشية التهذيب للمشدالي، فرع له ارتباط بما هنا بوجه، ونصه في كتاب الأيمان بالطلاق، وانظر لو أذنت له في نكاح امراة معينة، فتزوج غيرها، لكان لها القيام بدليل ما في الشفعة إذا أسقط الرجل ثم ظهر غيره انتهى.

♦♦♦♦

وتقدم في الفصل الرابع مسألة ما إذا أذنت له في جارية أو امراة، فطلق تلك المراة، وباع تلك الجارية، ثم بدا له أن يتزوج أو يتسرى، وتقدم قول ابن القاسم عن مالك في هذا المعنى مع زيادة،

♦♦♦♦

وقد سئل بعض شيوخنا عمن علق طلاق زوجته على نقلها من تحت كنف أبويها بغير رضاهما، ورضى الزوجة وابرائها له، من ربع دينار من الصداق، ومات أحد الوالدين، ونقلها برضاها دون رضى الباقي من الأبوين، فأجاب بأنه لا يقع الطلاق إلا إذا وجد الابراء، من جانب الزوجة، لا مجرد قيام الام ويشهد لفتواه ما قدمناه عن البيان في باب التحنيث بالبعض،

♦♦♦♦

وقلت لكن في كتاب الخيار من المدونة، ما نصه، قال مالك ومن تزوج امراة، وشرطت عليه في العقد، أنه إن نكح أو تسرى، أو خرج بها من بلدها، فأمرها بيد أمها، ثم ماتت الأم، فإن كانت أوصت بما كان لها من ذلك إلى أحد فذلك إليه، قال ابن القاسم فإن لم توص، فكأني رأيت مالك، رأى ذلك للابنة، أو قال ذلك لها، ولم أتبينه منه، وروى عن مالك أن ذلك لا يكون بيد أحد غير من جعله الزوج بيده، لأنه يقول لم أكن أرضى أن أجعل أمر امراتي إلا بيدها لنظرها وقلة عجلتها، قال ابن القاسم: وإن أوصت الأم إلى رجل ولم تذكر ما كان لها في ابنتها لم يكن للوصي ولا للابنة شيء من ذلك، انتهى قوله.

♦♦♦♦

فكأني رأيت مالكا إلى قوله منه الشيخ لم يشك في الحكم وإنما شك في الحكم الذي استفاد منه الحكم، إما فهما عنه أونصا سمعه، وقوله: قال ابن القاسم وإن أوصت الأم الخ، عياض اختلف هل قول ابن القاسم وفاق لما فهمه عن مالك وأنهما وجهان وهو قول أكثرهم فوجه تكلم عليه مالك وهو إذا لم يوص البتة، ووجه تكلم عليه ابن القاسم وهو ما إذا أوصت، ومنهم من قال: هو خلاف منهما انتهى، من الشيخ أبي الحسن الصغير ونزلت مسألة وهي أن شخصا علق على نفسه لزوجته أنه متى نقلها من محل كذا بغير رضاها تكون طالقا فوقع الانتقال من ذلك المحل إلى محل آخر وأقامت به ثلاثة أشهر ثم قامت تدعي أن الانتقال من ذلك المحل بغير رضاها بإكراه منه فأجاب فيها بعض شيوخنا في سؤال رفع إليه بما لفظه: لا يقبل قولها بمجرده وعليها البينة الشرعية أنه أكرهها على الانتقال معه والحالة هذه قلت انظره مع ما في البيان في كتاب الأيمان بالطلاق.

♦♦♦♦

وفي سماع أشهب سئل عمن قال لامراته رأسي من رأسك حرام ان أخرجتك من عند أمك إلا ان تخرجني أمك فأخرجتني أمها قال مالك: ومن يعلم ذلك أن أمها أخرجتك فقال الجيران، فقال له ثبت عليها وأشهد على ذلك، قيل له وترى رأسي من رأسك حرام طلاقا؟ فقال: والله إني لأرى ذلك، وقال مالك وإن أخرجته أمها فليس عليه طلاق، قال محمد بن رشد، هذا كله بين على ما قال، لأن التحريم طلاق فهو يقع بالبعض كما يقع بالكل لا فرق بين أن يقول رأسي عليك حرام أو رأسك علي حرام، وقوله رأسي من رأسك حرام مثل قوله رأسي على رأسك حرام فإذا ثبت أن قول الرجل لزوجته رأسي من رأسك حرام طلاق وجب إذا حلف بذلك ان لا يخرج امراته من عند أمها الا ان تخرجه أمها فإن أخرجها وادعى أنه أخرجها من عند أمها لأن أمها أخرجته وجب عليه أن يقيم البينة على ذلك، كما قال مالك لأن الطلاق ثلاثا وجب عليه بالحنث فأخرجها إلا أن يقيم بينة على ما يسقط عنه، انتهى على نقل ابن صاحب الصلات.

♦♦♦♦

فإن قلت: هلا ينال بوقوع الطلاق في حادثة هذا الكتاب من جهة أخرى وهو التحنيث بالبعض لأنه قد وجب بالسفر من غير رضاها وإن لم يحصل الإبراء ويوجه بأن الإبراء ليس شرطا يتوقف عليه وقوع الطلاق بل هو قيد في وقوعه.

ثانيا هو المقصود بينهما حالة الاشتراط وتقدم مسائل التحنيث بالبعض ولا مانع أن يكون هذا منها بل نص العلامة خليل على أن الحالف على الشيء يحنث بالعزم على ضده كما لو حلف لا دخل هذه الدار فنوى دخولها أنه يحنث، وأقره شارحاه وإن قيده بعضهم بما إذا كانت يمينه على حنث فالجواب أن هذا ليس من التحنيث بالبعض، لأن المحلوف عليه السفر وهو مقيد بقيدين هما عدم الرضى، والإبراء، وما فيه التحنيث بالبعض الحلف فيه يتناوله دفعة يوضح ذلك ويبينه ما أفاده العلامة المشدالي في حاشيته على التهذيب في كتاب الإيلاء، وأقره ابن غازي في تكميل التقييد بنقله وسكوته عليه.

♦♦♦♦

ونص المشدالي قوله: وإن قال ان تزوجتك فوطئتك فأنت طالق إن قلت هذا مشكل على القواعد لأنه قد تقرر الحنث بالأقل وهنا علق على مجموع شيئين فكان ينبغي أن تطلق عليه بالعقد، فالجواب أن الذي يحنث فيه ببعضه إذا علق عليه من حيث نسبة التعليق إلى تلك الأجزاء ضربه لامراتيه كما هنا، فكان الحكم الآخر كتعليق التعليق، انتهى قوله من حيث نسبة التعليق، إلى تلك الأجزاء ضربة، مثاله قول مالك: من حلف لا آكل هذا القرص إلخ، ومثاله: تعليق التعليق هي قوله إن كلمت زيدا، إن دخلت الدار لا يقع الطلاق إلا بهما وكان الفرق بينهما وبين المحلوف عليه المتعدد لما عطفه بالواو وكل من المعطوف والمعطوف عليه مقصود بالحكم كان الحنث بواحد منها، ومسألة التعليق في الحادثة المذكورة ليست من الحنث بالعزم على الضد لأنه ليس متعلقها نية الحالف بل نية المحلوف لها مع كونه في وثيقة كما لا يخفى.

♦♦♦♦

وإنما علق الطلاق على السفر بقيد هو الإبراء فلابد من وجود السفر ثم الإبراء من جانبها فهو حق بيدها وسيأتي كلام القرافي وإن كان التعبير في الوثيقة بالواو لا ثم إذ المعتبر المعاني دون الألفاظ كما سلف، وأما وقوعه بمجرد السفر من غير قيام منها فقد علمت ما فيه وظاهر قول الطرر المتقدم أن لها القيام، إنه لا يقع عليه الطلاق حيث لم يقم به وفي شرح التنقيح للعلامة الشهاب القرافي ما نصه الفصل الثالث في حكم ما إذا ترتب مشروط على شرطين لا يحصل إلا عند حصولهما إن كانا على الجمع وإن كانا على البدل حصل عند أحدهما وإلى المعلق بعينه لأن الحاصل للشرط المشترك بينهما، قال في شرحه: مثاله إن دخلت الدار وكلمت زيدا فأنت حر، فهذا علق عليهما معا فلا يحصل إلا عند حصولهما، ومثال البدل قوله: إن دخلت الدار وكلمت زيدا فأنت حر لشرط أحدهما.

♦♦♦♦

وفي هذا القدر كفاية بحسب ما يقتضيه الحال، من اشتغال البال بكثرة الأشغال، وجمود القريحة وخمود البال، كفاية في هذا المقام، لرفع الإيهام، ودفع الإبهام و فإن الأمر الذي لم يوضع فيه تصنيف، ولم يعهد فيه تأليف، لم يزل متشعب الأطراف، متباعد الأوصاف، فمن أنعم الله عليه بالوقوف على ما يحصل ضمه الى هذه المسائل، من الفروع والدلائل، فليبادر الى الالتئام والإنفاق، وليسارع إلى الجمع والوفاق، بعون الملك الخلاق، وبالله الاستعانة في جميع الأحوال ، في المبدأ والمآل، بحرمة النبي والآل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليما، كثيرا أثيرا ابدا دائما، والحمد لله رب العالمين والحمد لله وحده.

مع الحديث

الحديث الواحد والثلاثون والمائة: العمل في الإسلام

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن المقدام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" رواه البخاري.

تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (1966/70/2)، وأخرجه ابن ماجة، في كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب رقم: 2129 من طريق عمر بن سعد عن خالد بن معدان بلفظ: "ماكسب الرجل أطيب من عمل يديه" ولابن المنذر من هذا الوجه: "ما أكل رجل طعاما قط أحل من عمل يديه" وفي فوائد هشام بن عمار عن بقية حدثني عمر بن سعد بهذا الإسناد مثل حديث الباب وزاد" من بات كالا من عمله بات مغفورا له" وللنسائي من حديث عائشة "إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه" وفي الباب من حديث سعيد بن عمير عن عمه عند الحاكم، ومن حديث رافع بن خديج عند أحمد (17220/131/4)، ومن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند أبي داود.

درجة الحديث:

حديث صحيح، واللفظ تفرد به البخاري.

سند الحديث:

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، وقال: حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا عيسى عن ثور عن خالد بن معدان عن المقدام رضي الله عنه... وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا إبراهيم بن موسى: هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن يزيد بن زادان التميمي الرازي الفراء المعروف بالصغير، ثقة حافظ من العاشرة. وكان أحمد بن حنبل ينكر على من يقول له الصغير ويقول هو كبير في العلم والجلالة. قال أبو زرعة هو أتقن من أبي بكر بن أبي شيبة وأصح حديثا منه لايحدث إلا من كتابه، وهو أتقن وأحفظ من صفوان بن صالح وقال أبو حاتم من الثقات وهو أتقن من أبي جعفر الجمال يعني محمد بن مهران الرازي وقال النسائي ثقة. مات رحمه الله سنة 220هـ.

أخبرنا عيسى: هو أبو عمرو، عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي سكن ناحية الشام روى عن هشام بن عروة والأعمش والأوزاعي. قال يحيى بن معين ثقة وثقة، وسئل عنه ابن المديني فقال بخ بخ ثقة مأمون وقال أبو زرعة حافظ. توفي في أول سنة إحدى وتسعين ومئة (191)روى له الجماعة.

عن ثور: هو أبو خالد ثور بن يزيد بن زياد الكلاعي ويقال الرحبي الشامي الحمصي. روى عن مكحول ورجاء بن حيوة وصالح بن يحيى بن المقدام وعطاء وعكرمة وأبي الزبير والمطعم بن المقدام وابن جريج وأبي الزناد وخالد بن معدان وحبيب بن عبيد الرحبي والزهري وخلق، قال النسائي ثقة وقال أبو حاتم صدوق حافظ، وقد روى عنه الثوري وابن عيينة ويحيى القطان وغيرهم من الثقات ووثقوه. قال الهيثم بن عدي وأبو عيسى الترمذي مات سنة خمسين ومئة (150)، وهو ابن بضع وستين سنة في خلافة أبي جعفر. روى له الجماعة سوى مسلم.

عن خالد بن معدان: هو أبو عبد الله، خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي الشامي الحمصي، أدرك سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،من متقشفي العباد والمتجردين من الزهاد. روى عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم، ثقة يرسل كثيرا، مات وهو صائم سنة اربع ومائة (104) وروى له الجماعة.

عن المقدام رضي الله عنه: هو أبو كريمة، المقدام بن معدي كرب بن عمرو بن يزيد من صغار الصحابة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن خالد بن الوليد ومعاذ بن جبل وأبي أيوب الأنصاري، ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة وقال مات بالشام سنة سبه وثمانين (87) وهو ابن إحدى وتسعين (91) سنة. روى له الجماعة سوى مسلم.

أهمية الحديث:

هذا حديث ذو أهمية خاصة، حيث يبين أن الإسلام دين العمل، على خلاف ما قد يزعم البعض، عندما يتحدثون عن المفهوم القاصر للدين والعبادة، وكما هو معلوم أن الإسلام لايرضى لأي مسلم أن يمد يده يتكفف الناس إلا لظروف قاهرة وعابرة.

المعنى العام

1. العمل سبي العزة والكرامة:

إن الإسلام يحض على العمل، ويحث على السعي والكسب، لأن في ذلك إعزازا للنفس وحفظا لها من الامتهان، وصونا لها من البطالة وسؤال الناس الذي يورث المذلة والاستكانة، ويسقط المروءة، يقول الله تبارك وتعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)(سورة التوبة/الأية:150) وقال الله تعالى : (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبيها وكلوا من رزقه واليه النشور) سورة الملك/الأية:15).

فالإسلام يأمر بالسعي في جنبات الأرض للنيل من فضل الله، ولاانتشار بعد الصلاة للسعي على الأرزاق، قال تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) سورة الجمعة/الأية:10 . وقد كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف وقال: "اللهم إني أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين". الجامع لأحكام القرآن 108/8.

2. العمل الصالح يعدل الجهاد في سبيل الله:

إن المسلم العامل لكسب قوته منزلته سامية، ومكانته عند الله رفيعة عالية، قد جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم لمنزلة الجهاد في سبيل الله مساوية، فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: "مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه، فقالوا: يارسول الله: لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان"(رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح). والعامل المسلم يروح إلى بيته وقد محيت عنه سيئاته طالما أنه قد غدا في صباحه ذاكرا لربه محافظا على فرائضه فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له" (رواه الطبراني في الأوسط).

3. الأنبياء والمرسلون خير من أكل من طعام يده:

لقد ضرب الأنبياء عليهم السلام المثل في السعي والعمل، وكان لهم حرف وصناعات يرتزقون منها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان داود زرادا، وكان آدم حراثا، وكان نوحا نجارا، وكان إدريس خياطا، وكان موسى راعيا"(فتح الباري)، وكذلك كان رسولنا صلى الله عليه وسلم محترفا فقد رعى الغنم وعمل بالتجارة. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول : أله حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني، ومدح رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الصلاة والصوم. فقال: من كان يمونه ويقوم به؟ قالوا: كلنا. قال: كلكم أعبد منه" (فتح الباري).

4. العمل والكسب الحلال فريضة شرعية وضرورة حضارية:

إن العمل في الإسلام مفضل على النافلة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (طلب الحلال واجب على كل مسلم"(رواه الطبراني في الأوسط). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "طلب الحلال فريضة بعد الفريضة" (رواه الطبراني والبيهقي).

فيا شباب الإسلام، يا من غرتهم المظاهر الغربية الخداعة، فقرروا الاغتناء في بلاد الغربة والجفاء، على حساب مبادئهم، وأمنهم واستقرارهم وسعادتهم، عليكم بالاحتراف وتعلم الصناعات والأعمال اليدوية التي يترفع ويتكبر عنها كثير من الناس، بحجة أنها لاتدر كثيرا، لأن في ذلك دعما لاقتصاد الأمة وتقوية للمجتمع، ولن تشعر بحلاوة الطعام إلا إذا كان من جهدك وعرقك، فعن المقدام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" والعامل المحترف محبوب من الله فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العبد المؤمن المحترف".

إن العمل مهما كان صغيرا، فهو أفضل من استجداء الناس وسؤالهم، وقد أرشدنا إلى ذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله، أعطاه أو منعه"(فتح الباري). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم"(فتح الباري).

وما أجمل قول شوقي إن باليد المتبطلة لشللا، وإن مع القدم المتعطلة لزللا، قم فاحترف ولا تعش خبالا على قرابتك، وعيالا على صحابتك، واعلم أن الكناس أشرف ممن يسأل الناس" (كتاب أسواق الذهب).

5. المرأة المسلمة والعمل الصالح:

ولاننسى أن نشير إلى أن الإسلام لم يحرم المرأة من حق العمل، ولم يمنعها من المشاركة في تنمية ورقي مجتمعها داخل البيت وخارجه... بل ولم يهضمها أي حق من حقوقها، كما يروج لذلك أعداء الإسلام، ولكن التشريع جعل العبء الأكبر في ذلك على كاهل الرجل، لأن الله زوده بصبر وجلد يجعله أقوى على عراك الحياة، كما أن في ذلك تخفيفا من الله ورحمة بمن خلقها الله لتكون مصنعا فريدا لتنمية الموارد البشرية، وتغذية المجتمع بحاجته من العاملين في كل مجالات الحياة، ومع ذلك فإن الإسلام قد سوى بينهما في مطلق التكليف بمثل قوله: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى بعضكم من بعض) سورة ال عمران.

وقد شاركت المسلمة في الجهاد، وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها تاجرة وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في تجارتها، وهنا يجب أن نشير بخصوص عمل المرأة إلى أمرين: ألا يؤثر خروجها على واجبات البيت، فهو مملكتها الأولى، والأمر الأخر: أن تكون محافظة على كل الآداب الشرعية التي تحفظ لها كرامتها، وتمنع الفتنة بها والتقصير في الشرط الأول ضياع، وفي الثاني فوضى، ولن ينمو مجتمع مع الضياع والفوضى، وبذلك نكون كمن يهدم قصرا ليبني عشا، فعلينا أن ندرك أن عمل المرأة في بيتها ليس تعطيلا لنصف المجتمع، كما قد يزعم البعض، ولكنه تفعيل لرسالتها، ولئن تعطل دورها في التنمية المادية في فترة، فقد تعاظم دورها في التنمية البشرية التي هي أساس كل تنمية، ويكون في ذلك تكريم لها، وتوفير لعدد مهم من مناصب الشغل، وإن عمل المرأة في بيتها ليعدل الجهاد، وقد قالها النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت يزيد حين قالت: يارسول الله أنا وافدة النساء إليك، إن الرجال فضلوا علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج والعمرة والرباط، قال: "انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله".

6. الإخلاص والإتقان أساس العمل الصالح:

وللعمل آداب يجب على العامل أن يتحلى بها، وفي مقدمتها التوكل على الله، فالمسلم حين يأخذ بالأسباب، عليه أن يوقن بأن الرزق يسوقه الله وفق مشيئته، عكس المتواكل الذي يجلس ويحسب أن الرزق سيأتيه، وقد مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوم. فقال: من أنتم؟ قالوا: المتوكلون، فقال: أنتم المتواكلون، إنما المتوكل رجل ألقى حبة في بطن الأرض وتوكل على ربه" ومن الآداب التجمل في طلب الرزق، وطلبه من الطريق الحلال المشروع في أناة وروية، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لايستبطئن أحد منك رزقه، فإن جبريل ألقى في روعي أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لاينال فضله بمعصيته".

ومن الآداب إتقان العمل، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: :إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال"خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح" وإتقان الأعمال يكون بإتيانها على الوجه الأكمل بإحكام وإجادة متناهية. والعامل المخلص المتقن هو ذلك الإنسان الحاذق لصنعته وحرفته والذي يقوم بما يسند إليه من أعمال ووظائف بإحكام وإجادة تامة مع المراقبة الدائمة لله في عمله وحرصه الكامل على نيل مرضاة الله من وراء عمله، وهذا النوع من العمال والموظفين لايحتاج إلى الرقابة البشرية، لأن معه رقيبا بداخله لايفارقه لحظة، والبون شاسع بين عامل يعمل خوفا من رقابة بشر مثله يغيب عنه أكثر مما يتواجد وخداعه ماأيسره. وبين آخر يعمل تحت رقابة من لايغيب عنه لحظة، ومن لاتخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

القرآن تربية لإنسان الحضارة على حضارة الإنسان

■ إعداد الأستاذ: عبد الله الطيبي كديرة

1. يربي القرآن الكريم إنسان الحضارة على حضارة الإنسان، لأنه "كتاب الله" الذي أنزله ليحيا به الإنسان وله:

. كتب الله تعالى له فيه على نفسه الرحمة... وهي غاية كل "حضارة" تقوم على أرض الله، في كل زمان ومكان، إلى أن ينتهي الزمان، ويتوحد المكان عند من لايحده مكان، ولايحصره زمان: "كتب على نفسه الرحمة، ليجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه" (سورةالأنعام/الآية:12)

. كتب الله له به مع الرحمة السلام.. والسلام أسلوب كل "حضارة" حقة في التعامل بين الناس على أرض الله.. ثابت في كل زمان ومكان: "... سلام عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة" (سورةالأنعام:54)

. كتب الله له فيه وبه مع الرحمة غاية، ومع السلام أسلوبا، أن كل مايصيبه ليصل إلى غايته المكتوبة بأسلوبه المكتوب، فهو له لاعليه: " قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا" (سورةالتوبة/الآية:51).

. كتب الله له فيه وبه الغلبة على كل مايتعرض سبيله إلى استمطار الرحمة.. واستمداد السلام، بالرحمة وبالسلام، من الرحيم الرحمن السلام، بالتخلق بأخلاقه، والتحلي بصفاته.. تقربا إليه، وتوددا إلى خلقه.. فيكون له عينا وبصرا.. وماشاء أن يكون له.. بما شاء... وكما شاء.. بقوته وعزته: "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي، إن الله قوي عزيز" (سورةالمجادلة/الآية:21)

. كتب الله له فيه وبه الإيمان والتأييد بروح منه ورَوْح.. وما التأييد إلا سلام غير ضعيف ولامهزوم... وما الإيمان إلا رحمة من قلب غير ذليل ولامكلوم.. والإيمان أمانة لاتعرف الخيانة.. والسلام عزة عزيزة لاتقبل استكانة ولا إهانة.. وإنسان هذه حاله من: "أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه" (سورة المجادلة/الآية:22).

2. يربي القرآن إنسان الحضارة على حضارة الإنسان بالتتبع لأنباء الماضين، والتوقع لأخبارالآتين، فقد أخرج الترمذي عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فيما رواه الإمام علي رضي الله عنه: "هو كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر مابعدكم، وحكم مابينكم..." وهل التربية إلا اعتبار واتعاظ بأنباء من سبق؟ وهل هي إلا تفكر وتدبر في أخبار من لحق؟ بنظر من نظر في الكون بالبصر والسمع والفؤاد فصدق وصدق؟ وهل هي إلا حكم فصل فيما يتنافس فيه أهل زماننا وما يتعافسون فيه من أموال ومتاع وأزواج وبنين، يحكم به حكماء عدول ثقات من كل نزيه بصير تحقق، وأيقن بالحق، وبه حكم ونطق؟

يربي القرآن إنسان الحضارة بحضارة الإنسان وعليها بالرحمة والسلام، حين يؤكد له أن الله يدافع عن الذين آمنوا: "إن الله يدافع عن الذين آمنوا..."(سورةالحج/الآية:36).

يربي القرآن إنسان الحضارة بحضارة الإنسان وعليها، حين يشرف هذا الإنسان ويكرمه بأن يحمله مسؤولية خلافته على أرضه الطيبة بهذا الدفاع، دفعا للفساد في الأرض، وحقنا للدماء أن تسفك، تحقيقا لوعده ملائكة رحمته بأن يعلمهم من علمه عن حقيقة خلافة هذا الإنسان ما لا يعلمون: "...ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" (سورة البقرة/الآية:251) وخير نموذج لتحقيق هذه الخلافة بهذا الدفاع لتجسيد هذا التكريم، وتحقيق هذا الوعد، هو أن يتحرر الإنسان في عقيدته وفكره والتعبير عن ذلك بما يمليه عليه ما أوحى به إليه ربه من دينه الحق في غير إكراه، بعد تبين الرشد من الغي: "...ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز" (سورةالحج/الآية:38)...وأفسد المفاسد الحجر على عقول الناس وقلوبهم، واعتقال ألسنتهم، والتضييق عليهم في أديانهم، والوصاية عليهم في آدابهم وأخلاقهم..ولايملك ذلك بشر..بل الأمر فيه إلى رب كل البشر، وهو سبحانه خاطب جميع البشر، بالقرآن ليربيهم بحضارة الإنسانية على إنسانية الحضارة: "شرع لكم من الدين ماوصى نوحا والذي أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه)(سورة الشورى/الآية:11).

فالدين واحد أجمع عليه الأنبياء والرسل جميعا... وهو توحيد الله وإسلام القلوب والجوارح إليه عبادة واستعانة... بإقامة هذا الدين عقيدة وسلوكا على أسس جميع: " أنواع البر من الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والتقرب إلى الله بنوافل الطاعات من الدعاء والذكر وتلاوة الكتاب المنزل من الله، وكذلك أجمعوا على النكاح وتحريم السفاح وإقامة العدل بين الناس وتحريم المظالم وإقامة الحدود على أهل المعاصي والجهاد مع أعداء الله والاجتهاد في إشاعة أمر الله ودينه..." (الشيخ أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي. حجة الله البالغة. الجزء الأول. ص 87. دار التراث. القاهرة) وعلى هذه الأسس تقوم تربية إنسان الحضارة بحضارة الإنسان... منبعها القرآن كتاب الله وجامع ثمرة كتبه، بل جامع ثمرة جميع العلوم، كما ذكر الراغب الأصفهاني رحمه الله في (مفردات القرآن)... فمنه نستمد أسس بناء هذه الحضارة، وإنسان هذه الحضارة... أسس تلاوته وترتيله، وسماعه، والتفاعل معه، والانفعال به، وتدبره، والاهتداء بهداه، والاحتكام إليه، وعدم هجره...

3. قراءة القرآن: "ضم الحروف والكلمات فيه ومنه بعضها إلى بعض في الترتيل" كما أورد الإمام الراغب الأصفهاني في مفرداته... وتلك نواة حضارة الإنسان...

. كتابة القرآن: "ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ، فالأصل في الكتابة النظم بالخط، لكن يستعار كل واحد للآخر، ولهذا سمي كلام الله. وإن لم يكتب. كتابا".

وباجتماع القراءة والكتابة تكتمل أدوات بدء صنع حضارة الإنسان، ومواد حفظها ليتربى إنسان الحضارة بها وعليها.. ولا حضارة ولا إنسانية متحضرة إلا بالقراءة والكتابة... يقول العالم صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتيبه القيم: (مفاتيح للتعامل مع القرآن. ص:26. ط: دار القلم بدمشق) "وتبدو هناك حكمة أخرى من تسمية كلام الله بهذين الاسمين: القرآن والكتاب، وقد أورد هذه الحكمة العلامة الدكتور محمد عبد الله دزاز في كتابه القيم: "النبأ العظيم" وخلاصتها أن الله أراد من هذين الاسمين أن يتحقق الجمع الوثيق لكلامه، وأن يوجد الحفظ التام المطلق لكل سوره وآياته وكلماته وحروفه، وأن لايرد على النفس المسلمة احتمال ولو يسير عن تعرض شيء منها للتحريف أو الضياع أو النقصان.. ولذلك تم حفظ القرآن بوسيلتين عملتين، هما القمة في وسائل الحفظ والتوثيق: وسيلة القراءة ووسيلة الكتابة: "فلا يقبل القرآن المقروء ما لم يعرض على المصحف العثماني المكتوب ويتفق معه، ولايقبل المكتوب مالم يتفق مع تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه للقرآن، وإقرائهم له وقراءته له أمامهم:.

ولا حضارة ولا ثقافة ولا علم ولاتربية بدون ركني كل حضارة وثقافة وعلم وتربية: القراءة والكتابة....

. والقراءة تتبع لمكتوب بنظر فاحص مع نطق به ليسمع وينشر، أو مع غير نطق ليسجل ويحفظ.. وقد تكون القراءة لمحفوظ من الذاكرة.. والقراءة جمع وضم للمكتوب وللمحفوظ من أجل تبليغه للغير ليعيه ويفقهه، بتتبع جزئياته للوصول إلى غاية كلية فيه وبه، وبعد، فالقراءة تفقه، والقراءة تنسك وتعبد.. والقرآن: قراءة بكل هذه المعاني..

. والكتابة: جمع لمقروء بخط لحفظه من الضياع بالنسيان، والكتابة عقد لتثبيت مايكتب وشده.. والكتابة حكم وقضاء وفرض ممن لايرد حكمه، ولايحتج على قضائه، ولايتهاون في أداء فرضه.. والكتابة اتفاق بين إنسانين لتحرير أحدهما من رق الآخر.. والكتابة التزام إنسان مع آخرين، كل منهم بإرادته واختياره، في أعمال بر وإحسان يعم نفعها... وهي تجمع واتحاد بين قوم للدفاع عن أنفسهم ضد من يعاديهم ويكيدلهم.. ومن معاني الكتابة. القدر، والأجل المحتوم المنتظر..

والكتاب حين يطلق معرفا لايعرف من لفظه إلا القرآن، الذي يجمع ولايفرق، يحفظ ولا يضيع، يذكر ويثبت.. حكم الله، وقضاؤه وفرضه، لتحرير الإنسان من رق أي إنسان أو شيطان، باختياره والتزامه.. حتى يستوفي أجله، ويوافيه قدره، بلقاء ربه ليوفيه حسابه.. بما كتب على نفسه من الرحمة حين يجمع الناس ليوم لاريب فيه...

44 والقرآن يربي الإنسان بنفسه لنفسه. فردا أو جماعة. فرد يربي جماعة، وجماعة تربي فردا، وفرد يربي فردا.. ليحقق الكل إنسانيتهم بأنفسهم لأنفسهم، وتلك قمة كرامتهم... وتلك أسمى درجات آدميتهم.. فآدميتهم إصلاح وألفة واختلاط للتعارف والاتفاق والوفاق... وإنسانيتهم سكن وسكينة وذهاب وحشة وفرح ولطف وإحساس عذب من كل منهم بالآخر، وبصر به وسمع وعلم، في صدق وصفاء.. إنسانيتهم فكرهم بما يقرأون ومايكتبون، بأذهان راقية وأخلاق عالية.. إنسانيتهم خلاف كل بهيمية حيوانية لاترضى إلا بالدنية...

. ادميتهم هي إنسانيتهم بمفهومها اللغوي... وهي هي بمفهومها القرآني.. عليها تأسست حضارة الإنسان بتربية إنسان الحضارة، وبعداها الأساسيان: "الدفاع والتغيير".

الدفاع: نجده في آيتين كريمتين من كتاب الله تعالى، الأولى في سورة البقرة من الآية 249حيث يقول الله جل جلاله: "... ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين". والثانية في سورة الحج من الآية 38 حيث قال عز وجل: "... ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز..."

. تربية إنسان الحضارة بحضارة الإنسان في بعدها الدفاعي تنبيه لمشاعر إنسان الحضارة ليعرف حقه وواجبه في دائرة إنسانيته وآدميته.. ثم نضيق الدائرة ليعرف مسؤوليته ضمن أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب، أو قبيلة من القبائل... خلقت للتعارف لا للتخالف، وللوفاق لا للشقاق.. وكرامتها في التعاون على البر وهو تعارف.. وعلى التقوى وهي وفاق.. وغير البر والتقوى إثم وعدوان...

حضارة الإنسان تربي إنسان الحضارة ليعيش في أمة موحدة متحدة بقيادة تطاع، وقاعدة منضبطة تطيع... يجمع ويؤلف بينهما إيمان راسخ بأن حضارة الإنسان لايحميها إلا إنسان الحضارة.. بما تربى عليه من الالتزام بشرع الله فيما أوحى به إلى جميع رسله...

التغيير: مسؤولية الإنسان تتجلى في أن تغير حاله من نعمة وعافية، إلى نقمة وسوء، مرتهن بما يجنيه على نفسه بمعاصيه... والفرد في ذلك كالجماعة... وتغيره من الخير إلى الشر مسؤوليته هوكتغيره من الشر إلى الخير..تلك سنة الله تعالى في تربية إنسان الحضارة بحضارة الإنسان..."فبدون تغيير لأنفس الأمة لاتطمع الأمة بأحسن، كما أن التغير نحو الأسوء لابد أن يرافقه تغيير في الحال..."(ص2746من الأساس في التفسير. المجلد الخامس. المؤلف: سعيد حوى...)

. وتربية حضارة الإنسان لإنسان الحضارة بالدفاع والتغيير لايعني الصراع والعنف والإفساد وسفك الدماء... فمالذلك استخلف الإنسان في الأرض وكرم وعلم وأسجدت له الملائكة سجود تشريف، وسخرت له الأكوان... فحضارة الإنسان لاتبني إنسان الحضارة بالشقاق. كما يريد أن يزعم أصحاب نظرية صدام الحضارات أو صراعها... إنها تنبيه عقلا وجسدا ومشاعر بالدين للدين... والدين الذي أقصده هو دين الإسلام، وكتابه هو القرآن... وهو ماينفع الناس وسوف يمكث في الأرض، وغيره هو الزبد وسيذهب جفاء... وأصحاب صراع الحضارات في أواسط القرن العشرين، وفي أواخره يعلمون ذلك حق العلم وإن جحدوا ظلما وعلوا.. وهذا أحد روادهم أعلن عند نهاية العقد الخامس من القرن الماضي أنه لابد سيأتي يوم يظهر فيه.. أن الفرق الذي يلوح اليوم كبيرا بين الحضارة الغربية بوصفها معتدية، وبين الحضارات الأخرى بوصفها ضحية العدوان سيبدو قبل نهاية سنة 4047 (وهذا التحديد في رأيي عبثي مغرور)عديم الأهمية. وذلك أنه حينما يعقب الإشعاع إشعاع مضاد من المؤثرات، فإن ذلك يبدو بمثابة تجربة كبيرة واحدة تشترك فيها البشرية جميعا. تجربة تتمثل في تحطيم التراث الاجتماعي الإقليمي لإحدى الحضارات، لاصطدامه بالتراث الإقليمي للحضارات الأخرى، ثم إيجاد حياة جديدة. حياة مشتركة. تقوم على أنقاض هذا الحطام (....)إن اصطدام الحضارة الغربية بمعاصريها في النصف الثاني من الألف العام الثاني الميلادي هو أهم حادث في ذلك العصر لأنه كان الخطوة الأولى نحو توحيد العالم في مجتمع واحد. وسيكون قد بدا قبل زمنهم أن وحدة الجنس البشري من مستلزمات الحياة الإنسانية أي أنها سنة من سنن الطبيعة (...) إن أهمية هذا التوحيد الاجتماعي للعالم لاتتمثل في ميدان الفنون الصناعية والاقتصاد ولا في ميدان الحرب والسياسة، وإنما تتمثل في ميدان الدين"

(كتاب الحضارة في الميزان. تأليف: أرنولد توينبي. ترجمة: أمين محمود الشريف. مراجعة محمد بدران. ص:190.191).

5. وأتساءل الآن: ماهو الدين المرشح لهذا التغيير الحضاري لإنسان الحضارة بحضارة الإنسان؟ وليس من السذاجة ولا من الغرور أن أقول: إنه الإسلام.. لماذا؟

الجواب عند "أرنولد توينبي" كان في سنة 1947م قد لخصه في قوله: ".... فما هو سبيل النجاة من هذه الحالة الخطيرة التي نقبض فيها بأيدينا على زمام الاختيار بين الحياة والموت لا بالنسبة لأنفسنا فحسب، بل للجنس البشري كله؟ ربما كانت النجاة. كما هو الشأن في أغلب الأحوال. في التماس طريق وسط بين الأمرين، وقد يكون هذا الطريق الوسط. في مجال السياسة. أمرا لاهو بالسيادة المطلقة للدول الإقليمية، ولا هو بالاستبداد الصارم لحكومة عالمية مركزية. وفي مجال الاقتصاد قد يكون أمرا لاهو بالمشروعات الخاصة غير المقيدة ولا هو بالاشتراكية الصارمة غير المخففة. وقد قال مراقب متوسط العمر من أهل الطبقة المتوسطة في أوربا الغربية معلقا على حالة العالم اليوم (تعليقه صائب إلى يومنا هذا في سنة 2005م)، إن النجاة لاتأتي من الشرق ولا من الغرب(...)على أننا قد نلتمس مفتاح النجاة في رسالة المسيحية وغيرها من الديانات الكبيرة" ص 36 من نفس الكتاب المذكور سابقا لأرنولد توينبي.

مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم

■ إعداد الدكتور: مصطفى أوعيشة

■ ثالثا: تعريف مقترح الاستكبار في القرآن الكريم:

أ: الاستكبار في القرآن الكريم هو شعور وهمي بالعظمة، يدفع صاحبه إلى الامتناع عن قبول دعوة الله عز وجل.

ب:تحليل التعريف إلى عناصره والاستدلال عليه:

يتضمن التعريف ثلاثة عناصر أساسية، هي:

. الأول: الاستكبار شعور وهمي بالعظمة:

قولنا بأنه شعوريفيد أن الاستكبار خلق في النفس ابتداء. إنه من الأحوال الباطنة لا الظاهرة، فصاحبه يسكنه شعور مرضي بانتفاخ الشخصية وتضخم الذات، فكما أن الإنسان قد يصاب بالتهاب قد يتورم فيه جسده، كذلك قد يصاب بالتهاب معنوي تتورم فيه شخصيته.

أما وصفنا له بأنه وهمي فلإبراز أن الاستكبار تكلف للكبر دون استحقاق، إذ يتوهم صاحبه أنه كبير وأنه فوق الجميع.

قال تعالى حكاية عن فرعون: "واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لايرجعون" فقوله سبحانه "بغير الحق" حال لازمة لعاملها، إذ لايكون الاستكبار إلا بغير الحق.

فصفة الكبر والتكبر لاتكون إلا لله تعالى، لأنه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد.

إنه صفة ذم في حق جميع العباد وصفة مدح في حق رب العباد. يدل على هذا ورود مادة الاتصاف بالكبر في معظم النصوص القرآنية بصيغة (الاستفعال) أو (التفعل)، إشارة إلى أن المتصف بالكبر لايكون إلا متطلبا أو متكلفا له. كما أن صيغة (الاستفعال) اقترنت في جميع النصوص بالمخلوق لا بالخالق.

يقول الله تعالى:"لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتوا كبيرا" لقد طلبوا الكبرياء في أنفسهم من حيث لايملكونها. والكبر في الشخصية ينطلق من أصالة العظمة في الداخل، أما عندما تكون الشخصية مستعارة والقوة مستعارة، يعطاها المخلوق الآن لتذهب غدا بسبب اي طارئ أو عارض، فما معنى أن يشعر بأنه كبير، وهو في ذاته مخلوق ضعيف؟

وأما حقيقة العظمة فهي أن المستكبر يرى لنفسه فضلا على الناس وحقا ليس لغيره، فيحمله هذا الشعور على التعالي عليهم.

ومشكلة من يحمل هذا الخلق أن شخصيته تنتفخ، ويعظم شأنه عند نفسه، فيبدأ باحتقار الناس من حوله، في فكرهم ودعوتهم، واحتقار الدعوة إلى الحوار معهم، فهو يرى أنه أكبر من أن يحاور الآخرين أو يتعامل معهم، وأعظم من أن يستجيب لدعوة الحق عندهم... وهكذا تتحرك الكبرياء في داخله، لتظهر في حياته تمردا على الحق وانحرافا عنه واعتزازا بالإثم والضلال وتجبرا على الناس ظلما وعدوانا.

إن الاستكبار في جوهره خلق باطن، موجبه العجب، إما بالعنصر أو بالقوة المادية أو بالسلطان الذي يمتلكه المتصف به.

فمثال الاستكبار بدافع الإعجاب بالعنصر في القرآن الكريم، إبليس لعنه الله، قال تعالى: "إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فإنك رجيم".

ففي هذه الآية يصور الله تعالى إبليس كائنا متمردا، يعيش في داخله زهو العظمة بالعنصر الذي خلق منه، مقابل آدم الذي خلق من تراب. فالنار بظنه وزعمه أعظم من التراب. مما يجعل لما يتولد منها سر العظمة بالنسبة لما يتولد من الأخر. وهذا مادفعه إلى الاستكبار والتمرد على أمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام.

لقد ربط قيمة الكائن ودوره بالعنصر الذي يتكون منه، ولم يلتفت إلى الخصائص الروحية والفكرية والعملية التي ميز بها الله تعالى الإنسان عن باقي المخلوقات.

الحلقة الثالثة

وقد يحمل الإنسان على الاستكبار اعتزازه بقوته المادية. فهي إن كانت بعيدة عن الحق، منبعثة من نفوس معرضة ومستعلية، تصير سببا من أسباب الطغيان والاستكبار، إذ تحمله على نسيان بديهية البديهيات، وهي أنه مخلوق ليموت. فبقدر ما يبني في هذه الدنيا، مشيدا ومتفاخرا، فإنه في المقابل يهدم بنيانه الإنساني، فيصبح البطش طبيعته، والتجبر ديدنه، فلا يزداد قلبه إلا قسوة ولايزداد هو إلا بعدا عن أن يتأثر بنصح أو توجيه.

وقد ذكر القرآن الكريم بعض الأقوام والأشخاص الذين اغتروا بقوتهم فاستكبروا وعموا عن معرفة الحق والهدى. من هؤلاء قبيلة عاد التي قال الله تعالى في شأنها: "فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون".

فالاستكبار هنا سببته القوة التي تعطي أصحابها شعورا كاذبا بأنه لم تعد هناك قوة تقف في وجوههم أبدا.

قال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

"وهذا الاستكبار فيه وجهان، الأول: إظهار النخوة والكبر، وعدم الالتفات إلى الغير، والثاني: الاستعلاء على الغير واستخدامهم، ثم ذكر تعالى سبب ذلك الاستكبار وهو أنهم، قالوا: "من أشد منا قوة" وكانوا مخصوصين بكبر الأجسام وشدة القوة، ثم إنه تعالى ذكر مايدل على أنه لايجوز لهم أن يغتروا بشدة قوتهم فقال: (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) يعني أنهم وإن كانوا أقوى من غيرهم، فالله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، فإن كانت الزيادة في القوة توجب كون الناقص في طاعة الكامل، فهذه المعاملة توجب عليهم كونهم منقادين لله تعالى، خاضعين لأوامره ونواهيه.

وأما أخطر مايدفع الإنسان إلى الاستكبار فهو امتلاك السلطان. وأبرز مثال ضربه القرآن الكريم في هذا الباب قصة فرعون.

وهذه بعض النصوص تبرز ذلك:

. قوله تعالى: "واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق".

. قوله سبحانه: "ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين".

. قوله عز وجل: (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين).

. قوله تعالى:"ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين".

. قوله تعالى: (فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى).

كل هذه النصوص وغيرها تبين استكبار فرعون عن آيات الله، واستكباره على الناس بسبب امتلاكه السلطة عليه. لقد اعتبر نفسه أرقى وأفضل من الآخرين، فدفعه هذا الشعور إلى الاستعلاء والاستبداد ومصادرة الحقوق. إن مثل هذا النموذج لايهتم إلا برغباته وميولاته، ولايعبأ إلا بأهوائه.

يقول الإمام الطاهر بن عاشور في تفسيره للآية الرابعة من سورة القصص: "ومعنى العلو هنا الكبر، وهو المذموم، من العلو المعنوي، كالذي في قوله تعالى: "نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض" ومعناه: أنه يستشعر نفسه عاليا على موضع غيره، ليس يساويه أحد. فالعلو مستعار لمعنى التفوق على غيره، غير محقوق لحق من دين أو شريعة أو رعي حقوق المخلوقات معه، فإذا استشعر ذلك لم يعبأ في تصرفاته برعي صلاح وتجنب فساد وضر، وإنما يتبع ماتحدوه إليه شهوته وإرضاء هواه. وحسبك أن فرعون كان يجعل نفسه إلها."

تقييد في التجويد

لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد الفاسي توفي 12 رجب 1214هـ

■ اللهم افتح علينا أبواب حكمتك، وانشر علينا ثواب رحمتك بجاه عين الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه وجميع أمته آمين.

سئل كاتبه عفا الله عنه محمد بن عبد السلام الفاسي لطف الله به بمنه بما نصه بعد الصدر.

جوابك الشافي ونصك الكافي. فيمن يخاف من حديث. رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، أن تتبع التجويد بحيث يخرج كل حرف من مخرجه، ويصفه بصفته، أداه ذلك إلى الترك لعدم الفراغ وكثرة الأشغال، ولايحصل على طائل، وربما كان ذلك سببا في النسيان لعدم تمكنه من المراد، فربما مر عليه الشهر، ولا يقرأ إلا الحزب أو الحزبين، الكسل والنعاس بالليل، وعدم الفراغ بالنهار، فهذا بعينه هو الداء الذي لادواء له، وإن أسرع أخرج الحروف من غير مخارجها، وبغير صفاتها، لعدم مساعدة لسانه، وربما أدغم بعض الحروف أو تركها لاعمدا بل لعدم استقامة اللسان، وخوفا من ذكر عياض.

هل هذا عامد أو لا؟

وهل تكفي النية عما لم ينطق به اللسان أو لابد من اللفظ؟

وهل يلفظ عليه ويشدد في الصلاة أكثر من التلاوة أم لا؟

وما حكم ما اتفقت عليه الأقاليم، ولا سيما البوادي التي في عدم القراءة بالصيغة، أعني القراءة المعلومة عند البوادي التي لم ينطقوا فيها ببعض الحروف، كالياء من الذين،والألف من رجلان، والواو من قالوا، هل المنع أو الكراهة أو الجواز؟ جوابا شافيا، وفاك الله وإياي مصدوق قوله صلى الله عليه وسلم، من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من النار والسلام.

قلت محصل السؤال ثلاث مسائل.

الأولى أن سادتنا العلماء نصوا على أن تارك التجويد ءاثم،

والثانية أنهم نصوا على أن ناسي القرآن آثم كما جاء في الحديث، والسائل خائف من الوقوع في أحد الإثمين فكيف الخلاص؟

والثالث ماحكم اسقاط حروف المد الثلاثة، في التلاوة أو غيرها؟

والجواب يتمهد بعون الله بمعرفة اللحن وما في ذلك من الخلاف.

فأقول، أما اللحن لغة فقال الراغب ، اللحن صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، إما بإزالة الأعراب أو التصحيف، وهو المذموم، وإمام بإزالته عن التصريح وصرف معناه أو مجرى، وهو محمود من حيث البلاغة الخ.

وقال في القاموس اللحن كذ وكذا إلى أن قال والخطأ في القراءة هـ ولايريد بالقراءة تلاوة القرآن خاصة بل مايعمها، وقراءة الشعر والخطب والرسائل والله أعلم.

وقال في مختصر العين واللحن ترك الصواب، ويقال اللحن أيضا هـ يعني بفتح الحاء أيضا، وقال في النشر إن اللحن خلل يطرأ على الألفاظ فيخل ثم قسمه إلى جلي وخفي، وقال إن الجلي يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم، والخفي يختص بمعرفته علماء وأيمة الأداء هـ وإنما اختص علماء القراءة بما اختصوا به لتساهل النحات في مراد علم التصريف، لأنه علم وعمل، فتجد الحاذق منهم يعلم أبواب الإمالة ويقررها أحسن تقرير، ويعجز عن أداء اللفظ على مقتضى علمه وكذلك أبواب الوقف وأبواب تحقيق الهمز وغيرها ثم إنهم لايبالون بالمخارج لأن أكثر اشتغالهم بكتب أخلاها أهلها منها فظنوا أنها ليست من التصريف وإن الرجوع في مثل ذلك إلى علوم القراءة، وذلك خطأ ولو علموا من ذلك ماوجب علمه لاستووا مع القراء في ذلك، وكان الجميع جليا عندهم، وإذا كان اللحن لغة ماذكر، فهو إن نطق المتكلم في الكلام العربي على غير مقتضى قواعد أهله، ثم إن ذلك قسمان أحدهما يرجع إلى جواهر الحروف، إما بالنسبة إلى مخارجها بأن لاتعطى حقها الواجب لها فيها، وإما بالنسبة إلى صفاتها التي تحقق ذاتها أو تفصلها عما يشاركها أو يقاربها، وإما بالنسبة إلى تبديلها بغيرها كعجل الظاء المشالة مكان الضاد المهملة، أو جعل السين المهملة مكان الشين المعجمة، وكجعل الزاي مكان الجيم، وكجعل الغين المعجمة مكان الراء، وكجعل الهمزة مكان الكاف، وكجعل همزة معجمة بعض تفخيم مكان القاف، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه.

وهذا النوع يرجع فيه إلى مخارج الحروف وعلم التجويد وهي نتيجة معرفة المخارج والصفات، وهو واجب، وتاركه آثم كما في النشر وغيره. ونص طيبة النشر.

والأخذ بالتجويد حتم لازم
من لم يجود القرآن آثم
لأنه به إله انـــزلا
وهكذا منه الينا وصلا

وأما بالنسبة إلى مخالفة العرب في استعمالها الحروف والكلم في نطقها، كتصحيح ماأعلوه، وإعلال ماصححوه وتخفيف ما سهلوه، وتسهيل ماخففوه، وإظهار ماأدغموه، وإدغام ما أظهروه، وإثبات ماحذفوه وحذف ما أثبتوه، وغير ذلك مما يطول تتبعه أيضا، وهذا النوع يرجع فيه إلى علم التصريف.

والقسم الثاني يرجع فيه إلى عوارض الحروف، كتسكين ماحركوه وتحريك ماسكنوه، وكظم مافتحوه، أو كسره وفتح ما أكسروه أو ضمه وكسر ماضموه أو فتحه، وهذا يرجع فيه إلى متن اللغة، ومنه الحركات التي فعل بها الواضع فعل اللفظ الواحد الموضوع وضعا عاما، كتاء الضمير، فإنها بالضم للمتكلم، وبالفتح للمخاطب، وبالكسر للمخاطبة ومنه ابدال حرف معجم بمهمل، كالدال والذال والتاء والثاء، ومن هذا أيضا العلامية ويرجع فيها إلى علم النحو، فلابد من الأخذ في هذه العلوم ليتوصل الناطق إلى الكيفية التي نطق بها العرب لتزول عنه معرة اللحن.

والقراء جعلوا المشافهة والإدمان قائمين على ذلك لأن كثيرا من القراء يكتفون بحفظ ألفاظ القرآن ولايخوضون في شيء من هذه العلوم، فكان أخذهم بذلك عند مشافهة أشياخهم ومداومة التلقي عنهم كافيا عن الخوض في تلك العلوم، ولكن كان هذا عام أول فأما اليوم حديث عنقاء مغرب، وإذا كان هكذا فكل من خالف بشيء مما ذكر في القسمين كان لاحنا مخطئا، فعل ذلك فيما ورد من شعر العرب، أو نثرهم، أو من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو في كتاب الله المنزل عليه، أو في كتب العلماء المدونة في فنون الشريعة، أو في أشعارهم المنظومة على أسلوب شعر العرب، أو خطبهم أو رسائلهم، وكذا إذا فعل ذلك في كلام نفسه الذي يقصد به مجارات كلام العرب ومحاذاته، ثم يقال هل إذا فعل شيئا من ذلك يكون الكلام غير عربي لأن الكلام العربي هو المضبوط بالضوابط المذكورة في كتب النحو والتصريف، وكتب متن اللغة، وتلك الألفاظ عارية من ذلك، فيقال إما أن يكون فعل ذلك أما للكنة ولثغة، فهذا حكمه أن الكلام معه ليس بفصيح، وهو عربي إذ لايكلف الله نفسها إلا وسعها، وإما أن يكون فعله جهلا فهذا إما أن يستوعب الكلمات فهذا لايشك في أنه لايعد عربيا وايضا أن يخص بعض الكلمات دون بعض، فهذا إن قل لايخرج الكلام على كونه عربيا هذا أبو تمام لحن في مسائل كثيرة من كلامه مفرقة في قصائده، ولم يرجع بذلك على الشعر ولا عن العربية ولا عن الاحسان في نظمه بل لحن الفحول من شعراء العرب الجاهلية والإسلام، فعاب الأصمعي على إمرئ القيس في مواضع، وعاب على زهير ابن أبي سلمى، وعيب على كعب ابنه رضي الله عنه، وعيب على الخطيئة حتى ضحك منه طرفه وهو صغير، وقال له استنوق الجمل، فصارت مثلا وذلك في قوله:

وقد انتاس اللهم عند احتضاره
ينام عليه الصيعدية مكرم

(يتبع)

موقف الطبري من تأويل القرآن بالرأي

■ بقلم د. لطيفة أحادوش

■ تمهيد لقد اختلف العلماء حول جواز تأويل القرآن بالرأي بين مؤيد ومعارض . ولكلا الطرفين أدلته التي يحتج بها.

فماذا يقصد بتأويل القرآن بالرأي؟ ولماذا اختلف العلماء حوله ؟ وهل يمكن الجمع بين أقوال العلماء والتوفيق بينهما دون أن تتعارض أقوال كلا الطرفين فيما بينها؟

إن الجواب عن هذه الأسئلة ، سيلقي الضوء على حقيقة الخلاف الواقع حول هذه المسألة المهمة. وقد سعى العديد من العلماء إلى مناقشة أدلة المجيزين ، وأدلة المانعين لتأويل القرآن بالرأي ، لأنه من خلال ذلك تتضح حقيقة الخلاف في هذه المسألة.

ولعل سبب الخلاف حول هذه المسألة هو وجود أحاديث وآثار تحذر من تفسير القرآن بالرأي، وأيضا تحرج بعض الصحابة والتابعين من القول في القرآن ، بالرأي ، ولذلك تباينت مواقف العلماء بتباين فهمهم لتلك الأخبار وتأويلهم لها.

فما هو موقف الطبري . باعتباره مفسرا . إزاء هذه المسألة؟

هل موقف المانع؟ أم المجيز لتفسير القرآن بالرأي؟

ماهو مفهوم هذا" الرأي" عنده؟ وإلى أي حد يرى إعمال الرأي في تفسير القرآن؟

موقف الطبري من تأويل القرآن بالرأي:

قبل الحديث عن موقف الطبري من تأويل القرآن بالرأي ، تجدر الإشارة إلى مسألة مهمة تتعلق بمفهوم " التأويل " عنده.

فمفهوم التأويل عند الطبري يختلف عن مفهومه لدى الكثيرمن المفسرين وعلماء اللغة. فالتأويل عند الطبري ليس مختلفا عن التفسير كما يرى العديدمن العلماء، بل هما مترادفان ، ويدلان على بيان معاني آيات القرآن ، وإيضاحها، والكشف عنها .. ولذلك سمى الطبري تفسيره " جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ، أي تفسير أي القرآن . وقال في المقدمة:

" ونحن . في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه . منشئون إن شاء الله ذلك ، كتابا ..

ويقصد به كتابه في التفسير وقد استعمل في مقدمة تفسيره مصطلح" التأويل " معنى التفسير ، وكذلك في العناوين التي صدر بها موضوعاته.

ويعرف الطبري التأويل ، عند تفسيره لقوله تعالى :(وما يعلم تأويله إلا الله) سورة آل عمران / الآية:7 . قائلا » وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير .. وأصله من آل الشيء إلى كذا ، إذا صار إليه ورجع إليه ورجع يؤول أولا وأولته أنا صيرته إليه"

أما مسألة تأويل القرآن بالرأي ، فقد تناولها الطبري في مقدمة تفسيره " جامع البيان" واستهلها بأحاديث وآثار ذكرها تحت عنوان:

" ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي.

ومن بين هذه الأخبار التي ذكرها الطبري بأسانيدها، ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال » من قال في القرآن برأيه ، فليتبوأ مقعده من النار»

وفي رواية أخرى :» من قال في القرآن برأيه ، أو بما لا يعلم ، فليتبوأ مقعده من النار»

و» من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»

وما روي عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه» أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن ما لا أعلم ؟

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مرة ، عن أبي معمر قال: قال أبو بكر الصديق» أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني ، إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم؟ »

فماذا قال الطبري بعد ذكره هذه الأخبار التي تضمنت التحذير من تفسير القرآن بالرأي؟

لقد علق الطبري عليها بقوله» وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا : من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه ، بل القائل في ذلك برأيه . وإن أصاب الحق فيه . فيه مخطئ فيما كان من فعله ، بقيله فيه برأيه ، لأن إصابته ليست موقن أنه محق ، وإنما هو إصابة خارص وظان . والقائل في دين الله بالظن ، قائل على الله ما لم يعلم . وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده ، فقال :(قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) سورة الأعراف / الآية :31. يرى الطبري أن النهي الوارد في الأخبار المذكورة يتعلق بما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيانه من القرآن ، وهذا لا يجوز لأحد القول فيه برأيه.

وقد بين الطبري ما اختص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيانه وذلك حين تحدث عن وجوه مطالب تأويل القرآن ، والتي من بينها ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أكد على النهي الوارد في الأخبار، بوصف القائل برأيه في تفسير القرآن، بأنه قائل بما لا يعلم وإن وافق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به معناه . وبين سبب ذلك في قوله:

لأن القائل فيه بغير علم، قائل على الله ما لا علم له به"

واستشهد بالخبر الذي رواه جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:» من قال في القرآن برأيه فأصاب ، فقد أخطأ، وفسره بأن معناه ، أن من قال في القرآن برأيه ، فقد أخطأ في فعله، وإن وافق قيله ذلك عينَ الصواب عند الله، لأن قيله فيه برأيه ، ليس بقيل عالم أن الذي قال فيه من قول حق وصواب ، فهو قائل على الله مالا يعلم ، آثم بفعله ما قد نهي عنه وحظر عليه.

بعد أن بين الطبري أن المراد من الأخبار التي ذكرها ليس هو النهي عن التفسير القرآن بالرأي، وأراد أن يبرهن على أن فعل ذلك هو مطلوب ، فذكر الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن ، ومن كان يفسره من الصحابة ثم قال :

وفي حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات . بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم.

(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب) سورةص / الآية:28. وقوله : (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون) سورة الزمر / الآيتان 2726 وما أشبه ذلك من آي القرآن ، التي أمر الله عباده وحثهم على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتعاظ بمواعظه. ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله عليه عالمون . صح أنهم . بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آية الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه ... عارفون . وإذ صح ذلك فسد قول من أنكر تفسير المفسرين . من كتاب الله وتنزيله . ما لم يحجب عن خلقه تأويله ».

بعد أن اتضح فهم الطبري للأخبار التي ورد فيها النهي عن تفسير القرآن بالرأي، فما هو موقفه من الأخبار التي يحتج بها المانعون لتفسير القرآن بالرأي؟

لقد ذكر الطبري مجموعة من الأخبار التي وضع لها عنوانا وهو :" ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن.

ومن خلال حكم الطبري. في عبارة العنوان. ب" الغلط" على تفسير هؤلاء لتلك الأخبار ، يتضح موقفه المغاير لموقف منكري تفسير القرآن بالرأي.

ومن بين هذه الأخبار التي ذكرها ، الخبر الذي رواه جعفر بن محمد الزبيري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت:» ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن ، إلا آيا بعدد، علمهن إياه جبريل»

علق الطبري على هذا الخبر بأنه مصحح ما قاله من قبل من " أن من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك تفصيل جمل ما في آية من أمر الله ونهيه، وحلاله وحرامه ،، وحدوده وفرائضه، وسائر معاني شرائع دينه ، الذي هو مجمل في ظاهر التنزيل، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة ، لا يدرك علم تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما أشبه ذلك مما تحويه آي القرآن ، من آيه "

وعلل ذلك محتكما إلى العقل والمنطق فقال :

» لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال ولا يعقل تأويله» اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان والكلام، إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره، ويعتبر به . فأما قبل ذلك فمستحيل أمره يتدبره وهو بمعناه جاهل»

لقد صرح الطبري باستحالة تدبر القرآن لمن كان جاهلا بمعناه ، متبعا في ذلك منهجه في الاعتماد على الدليل العقلي ، والتحليل المنطقي كما هو معهود في مناقشاته للقضايا والمسائل . فلا معنى للأمر بتدبر ما في آيات كتاب الله من العبر والحكم والأمثال والمواعظ ، إلا لمن كان عالما بمعاني بيانه وعارفا بكلام العرب ، أما الجاهل لذلك ، فمعناه : الأمر بأن يعلم معاني كلام العرب ، ثم يتدبر القرآن بعد ذلك ، ويتعظ بما جاء فيه من العبر والحكم.

وقد وصل الطبري بمناقشته إلى نتيجة استخلصها في نهاية تحليله ، وهي فساد القول بالنهي عن تفسير القرآن في ضمن ما حدده الشرع ، ويتجلى ذلك في قوله:

» فإذا كان ذلك كذلك . وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبره ، وحثهم على الاعتبار بأمثاله . كان معلوما أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدل عليه آيه جاهلا . وإذ لم يجز أن يأمرهم بذلك إلا وهم بما يدلهم من سائر حكمه الذي جعل الله بيانه لخلقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بتعليم الله إياه ذلك بوحيه إليه ، إما مع جبريل ، أو مع من شاء من رسله إليه ، فذلك هو الأي التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه ، وهن لاشك آي ذوات عدد»

وقد وصف الطبري بأهل الغباء ، أولئك الذين يظنون أن الخبر المروي عن عائشة ، معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آيه، واليسير من حروفه ، واعتبر الطبري ظنهم هذا أوهاما.

ورد عليهم بأنه لو كان الأمر كذلك، كان إنما أنزل إليه صلى الله عليه وسلم الذكر ليترك للناس بيان ما أنزل إليهم ، لا ليبين لهم ما أنزل إليهم.

واستدل الطبري على ذلك أيضا بقيام الحجة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ وأدى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به، وكذلك صحة الخبر عن عبد الله بن مسعود حين قال» كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن»

وهذه الحجج . التي أوردها الطبري في رده على من أخطأ في فهم الخبر المروي عن عائشة أم المؤمنين. يعتد بها في حال ثبوت صحة الخبر ». أما في حالة ضعفه ، فإنه لا يحتج بالخبر أصلا.

ولذلك قال الطبري » هذا مع ما في الخبر الذي روي عن عائشةو من العلة التي في إسناده ، التي لا يجوز معها الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها في الدين ، لأن راويه ممن لا يعرف في أهل الآثار ، وهو : جعفر بن محمد الزبيري».

وقد ذكر الطبري أخبارا أخرى ضمن التي غلط في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن، منها : ما رواه حماد بن زيد عن عبيد الله بن عمر قال» لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليغلظون القول في التفسير، منه: سالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب، ونافع»

وما روي عن أيوب وابن عون، عن محمد ، أنه قال» سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال : ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن، اتق الله وعليك بالسداد»

وما روي عن عمرو بن مرة ، قال : سئل رسجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ، فقال لا تسألني عن آية من القرآن من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه ». يعني عكرمة»

وغير ذلك من الأخبار التي تدل على تحرج السلف عن القول في القرآن بالرأي.

إن هذه الأخبار قد يستدل بها المانعون لتفسير القرآن بالرأي، على صحة موقفهم ، لما تحمله من دلالة على إحجام بعض التابعين عن التفسير بالرأي.

وفي إيضاح الطبري لسبب إحجام هؤلاء السلف عن التأويل ، بيان للفهم الخاطئ الذي قد يفهمه منكرو القول لتفسير القرآن بالرأي ، حول هذه المسألة ، فقد شبه الطبري إحجام التابعين عن التأويل ، بإحجام البعض منهم عن الفتيا في النوازل والحوادث ، مع علمهم بأن لله في كل نازلة وحادثة حكما موجودا بنص أو دلالة.

فلم يكن إحجامهم عن القول في ذلك جحودا أن يكون لله فيه حكم موجود بين أظهر عباده، ولكن خوفا من عدم بلوغهم في الاجتهاد ما كلف الله العلماء من عباده فيه.

» فكذلك معنى إحجام من أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره، من العلماء السلف ، إنما كان إحجامه عنه حذارا أن لا يبلغ أداء ما كلف ،، من إصابة صواب القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محجوب عن علماء الأمة ، غير موجود بين أظهرهم»

وهكذا فسر الطبري إحجام السلف عن تفسير القرآن بالرأي بأنه كان حذرا منهم وخشية، وليس منها وإنكارا.

أخطاء في صياغة اسم الفاعل واسم المفعول

بقلم الأستاذ أحمد باكو

لصياغة اسم الفاعل واسم المفعول ، قواعد لابد من التقيد بها ، وأول ما يجب ذكره من ذلك:: ، أن اسم الفاعل يصاغ لوصف الفاعل ، وأن اسم المفعول يصاغ لأجل وصف المفعول به ويترتب على هذا فارق مهم ، هو أن اسم المفعول لا يصاغ إلا من الفعل المتعدي ، دون الفعل اللازم لأنه لا مفعول له.

ومن ذلك أيضا أن أوزان اسم الفاعل واسم المفعول ، تختلف باختلاف أفعالها ، من حيث كونها ثلاثية أو مزيدا فيها صحيحة أو معتلة.

والجهل بهذه الأحوال والقواعد الناتجة عنها ، أدى إلى امتلاء لغتنا المكتوبة والمنطوقة بكثير من الأخطاء.

ومن الأخطاء المرتبطة بالملاحظة الأولى ، ما نجده في كلمات المختلط والمزدوج والمبرز والمستجد (أو المستجدات بالجمع) ، التي نسمعها منطوقة في كثير من الأحيان ، بالفتح أي فتح الحرف ما قبل الأخير من الكلمة ، أي بوزن اسم المفعول

وهذا خطأ بين واضح ، لأن الأفعال المشتقة منها الكلمات المذكورة وهي اختلط وازدوج وبرز واستجد، كلها لازمة لا يمكن أن يأتي منها اسم المفعول، لكونها لا مفعول لها كما سلف بيانه.

ولذا فإن النطق السليم لتلك الكلمات يقتضي أن يكون بكسر ما قبل الحرف الأخير ، بصيغة اسم الفاعل كالحال في مرتبط ومنضبط ومجرب ومستعد وغيرها.

ومن الأخطاء المتفرعة عن اختلاف الأفعال ، من حيث الصحة والاعتلال والتجرد والزيادة ، كلمات المباع والمصان والمهاب ، فهذه كلها صيغ لاسم المفعول من الرباعي المعتل، والحال أن الأفعال باع وهاب وصان ثلاثية.

والقاعدة في صياغة اسم المفعول هنا ، أن يجيء مفتوح الأول، ومكسور الثاني أو مضمومه، بحسب ما إذا كان الفعل يائيا كباع يبيع أو واويا كصان يصون.

ولذا فإن الصياغة الصحيحة للكلمات الثلاث المذكورة هي المبيع والمهيب والمصون بفتح الميم فيها.

ومن الأخطاء المسموعة كذلك ، المعطوب والمغلوب وفيهما أيضا ، خرق للقاعدة الضابطة لاختلاف الأفعال ، من حيث التجرد والزيادة ، ومن حيث اللزوم والتعدي .

ففيما يرجع للمعطوب ، فإن فعلها ثلاثي لازم . وهو عطب يعطب عطبا كتعب يتعب تعبا، ويجوز أن نعديه بالهمزة ليصير أعطبه إعطابا كأصلحه يصلحه إصلاحا.

والفعل الأول (اللازم) لا يأتي منه إلا اسم الفاعل وهو عطب كتعب ومرح ، بفتح أوله وكسر ثانيه ، وإذا عديناه فقد صار رباعيا، ويكون اسم المفعول منه هو معطب بضم فسكون ففتح وعليه فإن اسم المفعول من المادة هو المعطب وليس المعطوب ، الذي لا محل له ، مع الانتباه إلى أنه يمكن الاستغناء عن اسم الفاعل وهو عطب بفتح فكسر على النحو الذي سلف .

غير أن هناك فارقا يجب أن نراعيه في الاختيار ، بين اسم الفاعل الثلاثي واسم المفعول الرباعي فإذا كنا نريد أن نتحدث عن مادة تعرضت للاعطاب بفعل فاعل، فإن اسم المفعول الرباعي، هو ما يجب استعماله لمطابقة الحال ، تبعا لكون الفعل هو أعطب الرباعي ، وأما إذا كان الحديث عن مادة تعرضت للعطب من غير تدخل ايجابي من فاعل ، كأن يقع من البلى أو التقادم ، فإن الواجب ، هو استعمال اسم الفاعل الثلاثي أي عطب كمرح ووقح.

ويؤدي ذلك الخلط أحيانا، إلى العكس، باستعمال صيغة اسم الفاعل مكان اسم المفعول على نحو ما نسمع في خطأ مشهور ، هو المعدات التي تنطق غالبا بكسر العين ، والحال أنها يجب أن تكون مفتوحة ، لأنها اسم مفعول من أعد الرباعي ، الذي يفيد ما يعده الانسان من أدوات وعدد (جمع عدة) في الحرب والصناعة وغيرهما ، ومنه الآية الكريمة (واعدوا لهم ما استطعتم...)

ويؤدي هذا أيضا إلى استعمال صيغة اسم الفاعل الرباعي ، فيما يجب أن يستعمل فيه اسم الفاعل الثلاثي أ و العكس ، ومن الأول استعمال كلمة المشين بدل الشائن ، والخطأ هنا واضح ، لأن الفعل ثلاثي (شان يشين) واسم الفاعل منه شائن ، ومنه كلمة المهول التي نسمعها منطوقة بضم الميم أي بصيغة اسم الفاعل من أهول، والحال أن فعلها ثلاثي (هال).

ولذا فإن صيغتها الصحيحة، هي هائل، مع ملاحظة أنه جائز نطقها بكسر والمشددة من هول بالتشديد كما يجوز نطقها بفتح الميم وضم الهاء على وزن مفعول ، ومن الثاني استعمال كلمة الراسل مكان المرسل لأن الفعل رباعي (أرسل) فالراسل والمشين خطآن ناتجان عن القلب أو الخلط المذكور.

غير أن موضعنا لا يكتمل إلا بالتنبيه إلى أن هناك استثناءات يجب أن تكون هي أيضا معلومة ، لمراعاتها في مقامها.

فهناك أفعال يمكن فيها استعمال اسم الفاعل واسم المفعول، من غير فرق مثل مكان وبئ ، وموبوء (من الوباء) والسبب أن الفعل ورد بصيغة المبني للمعلوم ، والمبني للمجهول معا، (أي بفتح الواو وضمها) ، ولذا صح أن يأتي منه اسم المفعول بنفس معنى اسم الفاعل ، وإن كان غير متعد .. لأن بناء الفعل للمجهول ، يؤدي إلى أن يصير الفاعل مفعولا به في المعنى.

ومن ذلك أيضا كلمة المجسم التي يمكن نطقها بصيغة اسم الفاعل واسم المفعول معا ، لأن المعنى يصح بهما من غير فرق ، فعندما نقول الخريطة أو الصورة المجسمة مثلا فإنه يصح أن ننطقها بكسر السين ، ليكون المعنى أنها تجسم ما ترمز إليه ، كما يصح أن ننطقها بفتح السين ليكون المعنى أن من صنعها جعلها بارزة المعالم ، لتشخيص ما ترسمه أو تصوره.

ومن هذا القبيل المقدمة التي ألفنا ، أن ننطقها بكسر الدال بصيغة اسم الفاعل بمفهوم أن المؤلف ، ينشئها لتقدم الكتاب لقرائه ولكن يجوز أيضا أن تكون بصيغة اسم مفعول، أي بفتح الدال بمفهوم أن المؤلف يقدمها لهذا الغرض.

وهناك أفعال أخرى ، يصح فيها استعمال اسم الفاعل واسم المفعول معا، للدلالة على المراد لسبب آخر ، هو أنها وردت لازمة ومتعدية ، فالأفعال رجع ونقص ووفر مثلا لازمة ومتعدية ، يقال رجع الشيء فهو راجع ، ورجعه فلان فهو موجوع، وكذا نقص العدد فهو ناقص ونقصه فهو منقوص ووفر المال فهو وافر ووفره جامعه فهو موفور.

لذا يصح بوجه عام، استعمال اسم الفاعل واسم المفعول معا في الأفعال المذكورة وما شاكلها ، غير أن السياق إذا كان يتطلب بيان أن النقص أو الرجوع أو الوفرة ، كان بفعل فاعل ، فإن المقام يقتضي استعمال اسم المفعول لافادة هذا المعنى الزائد.

وقد تكون هناك دواع بلاغية تبرر الخروج عن القاعدة على سبيل المجاز، بغاية تحسين الكلام وجعله أكثر مطابقة لمقتضى حاله ، فهناك حالات يجوز فيها استعمال الفاعل مكان المفعول لنكته أو مغزى بلاغي!

ولهذا أمثلة كثيرة في الشعر والنثر، ومنه الآية الكريمة« خلق من ماء دافق...) سورة طارق / الآية 6. لأن المقصود ماء مدفوق ولكن جاء التعبير بقلب الاسناد، بجعل الدفق صادرا من الفعل لا من الفاعل ، لافادة وقوعه بقوة.

وهذا هو المناسب للمقام ، لأن الكلام يدور حول دفق خاص، تتحكم فيه الغريزة ووظائف الأعضاء ينطلق باندفاع تلقائي ، يغلب إرادة الانسان حتى صح أن يقال أن السائل الذي يتخلق منه البشر يدفق نفسه من غير حاجة لفعل فاعل.

ومن بلاغة القرآن الكريم ، الدالة على إعجازه ، أنه يستعمل في الحديث عن أسرار الخلق في الكون والانسان ، مثل هذه العبارات الدقيقة، التي إذا تأملتها بإمعان ، وجدت أنها المناسبة لمقتضى الحال ، والأولى في الإخبار علميا عن المراد. فوصف سائل الخلق ذاك، الذي يخرج في مناسبته ولأسبابه القاهرة المعروفة، بأنه دافق مجاز أقرب إلى الحقيقة ، لأنه هو المطابق للواقع العلمي!

تأملات وخواطر

■الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

العربية والأمازيغية في محاورة تلفزيونية

على شاشة التلفزة المغربية في القناة الثانية تتبعت جلسة حوارية نظمتها هيئة الإنصاف والمصالحة تتعلق بالانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان في مجال التربية والثقافة . تحدث في الجلسة أحد المتدخلين بأسف شديد عن الحالة التي آلت إليها الأمازيغية ، والتعثرات التي تقف في طريق نشر حروف: تفيناغ" بين الأوساط الثقافية والتعليمية، وطالب الدولة بالإسراع في تثبيت هذا الحرف في المعاهد والمدارس في الكتب المدرسية وتعميمه ، ومعلوم ان كتابة الامازيغية بحروف "تيفناغ" أسالت كثيرا من المداد والتعصب ، فمن قائل باعتماد الحرف العربي ، ومن قائل باعتماد الحروف اللاتينية ، وهذا ما استقر عليه الرأي ، وبعد ان انتهى المتدخل من اعلان رأيه في الدفاع عن الأمازيغية . طلب الكلمة أحد الأساتذة وكان له رأي فاندفع يتحدث عن مسألة الأمازيغية والعربية معا، وأتى بعدة أمثلة وحقائق متحدثا بالخصوص عما آلت إليه اللغة العربية وهي لغة القرآن من تهميش بعد أن أصبحت اللغة الفرنسية لغة الإدارة ، بل لغة الحوارات الرسمية في المؤسسات والوزارات، وفي البريد أيضا الذي يطلب منك ملء أوراقه باللغة الأجنبية ، والطفل المغربي يبدأ ثقافته بالفرنسية من معهد الحضانة إلى ثانوية " ديكارت " وغيرها ، وبعد أن يتم دراسته وينتقل إلى الجامعات ، لايجد أمامه إلا هذه اللغة الدخيلة فعليه أن ينجح في موادها أما لغته التي رضعها من ثدي أمه فلا تعنيه في شيء ، وربما ينظر إليها من زاوية أنها لغة جامدة لا قيمة لها مادام أبواه مبهورين بلغة" ديكارت" و" جان جاك روسو" أو لغة " شكسبير" لقد قال لي أب دفع بأولاده إلى الدراسة في معهد أجنبي : ان العربية لن آكل بها خبزا ، ومع أن الدستور جعل من اللغة العربية لغة رسمية. فإن واقع الحال غير ذلك.

إن اللغة العربية إذن والأمازيغية سيان في المحنة وهذا ما تم استنتاجه من الجلسة الحوارية في هذه الحالة ما جدوى أسفنا على ما آلت إليهم اللغتان وعندي ملاحظة مهمة عن لغات التعليم في عدة بلدان في العالم ، فالطفل مثلا في اسبانيا أو فرنسا أو أمريكا يرضع في ثدي أمه لغة بلاده ، ويها يدرس ابتداء من الحضانة مرورا بالثانوي وانتهاء بالتعليم الجامعي فهو لايعرف الازدواجية والمقررات الأجنبية عنه ، المطلوب منه أن ينجح عن طريق لغته الوطنية فقط ، بينما طفلنا تختلط عليه المواد ، فلا يدري أيحفظ دروسه العربية أم يحفظ المواد بالفرنسية ، فلماذا نثقل عليه ونحثه على هذه الازدواجية؟ ألا توجد بلدان في عالمنا العربي تدرس المواد العلمية، منها الطب والهندسة بالعربية، فأي حاجة لطفلنا بهذه الازدواجية التي تبلد إحساسه منذ الصغر؟، نعم نحن في حاجة إلى تلقين أبنائنا لغات أجنبية كثيرة ولكن بعد أن نلقنه لغته أولا.

فالمطلوب رفع مستوى لغتنا العربية ووضعها في المقام الاول قبل اللغات الأخرى والزام التعامل بها في الإدارات والمؤسسات الوطنية على أن تكون اللغة الأمازيغية رافدا وطنيا يشد أزرها بحكم الأصالة و العرق والتاريخ .

ذكرى زيارة جلالة الملك محمد الخامس لتطوان عيد للوحدة الترابية للمملكة

إعداد الدكتور إدريس خليفة

الحلقة الثانية

.... تقول الفقرة الثانية من النص المذكور :

" إن الحكومة الإسبانية تعترف باستقلال المغرب الذي نادى به صاحب الجلالة الإمبراطورية محمد الخامس وبسيادته المطلقة مع كامل اختصاصاتها بما في ذلك الجيش والديبلوماسية ، وتجدد عزمها على احترام الوحدة الترابية للإمبراطورية ، تلك الوحدة التي ضمنتها المعاهدات الدولية كما تتعهد باتخاذ كل التدابير الضرورية لتجعلها وحدة فعليه":

وتقول الفقرة الرابعة منه:

" إن الحكومة الإسبانية وصاحب الإمبراطورية يتفقان على أن العلاقات بين اسبانيا والمغرب ستتمشى حسب البروتوكول الملحق بهذا التصريح ريثما تدخل الأوفاق حيز التطبيق"

وهكذا نص البيان على اعتراف اسبانيا بالوحدة الترابية للمملكة وعلى ان أوفاق البيان ستدخل حيز التطبيق مستقبلا".

وقد كانت قضية الوحدة الترابية لأراضي المملكة المغربية حاضرة في خطب جلالته وتصريحاته في هذه المفاوضات، يقول جلالته في خطابه الذي وجهه إلى شعبه الوفي يوم ثالث أبريل 1956 في موضوع الغرض من المفاوضات الإسبانية:

الحمد لله

رعايانا الأوفياء

إن الاستقلال الذي أحرزناه بعد كفاح طويل مرير يجعلنا الآن أمام واجب مقدس لا يقبل من أي تقصير ولا أي تأخير في القيام بأعبائه، فهذا الواجب هو السعي في توحيد الأراضي المغربية وازاحة الفوا صل والحدود المعطلة بينها حتى يصبح الوطن واحدا والسيادة واحدة وحتى يكون بيننا وبين سائر رعايانا اتصال وثيق متين لا يشوبه أي تمييز بين الرعية ولا أي تفريق في النظام ، وكيف لا نحرص على وحدة الأمة الوطنية ، ونجعل منها شغلنا الشاغل ، ونحن نعلم أن مغربنا خلال تاريخه الطويل لم يعرف أي تجزئة في أراضيه ، وإن ما بلينا به في مبدأ هذا القرن لم يقبله الشعب المغربي عن طواعية واختيار، إنما جاء نتيجة سياسية دولية تغاضت عن حقوقه وعن مراعاة العدل في معاملته ، وغير خاف ما جرته هذه التجزئة على الوطن المغربي من عواقب كان لها أسوء الأثر في حالته المادية والمعنوية ، ولقد قلنا أن الاستقلال لا تكون له قيمة ، إلا إذا استرد المغرب وحدته الطبيعية الأصلية يستطيع أبناؤه التنقل في ربوعه دون ان يقف في طريقهم حاجز ويكون لحريتهم قاطع ، بل إن الاستقلال كان دائما مقرونا بالوحدة تلك الوحدة التي تجعلنا نؤمن بعدم تجزئة الوطن ومصيره بين الأمم جميعا ، ولقد عبرنا عن أملنا هذا غير مامرة بوضوح كامل في الخطاب الذي ألقيناه بمناسبة بدء المفاوضات مع الحكومة ، الفرنسية.

ونحن اليوم نتأهب للقيام برحلة إلى إسبانيا للاتصال بحكومتها من أجل الاعتراف باستقلال المغرب ووحدة ترابه وسيكون ذلك على قدوم المساواة فيما سيكون عليه مستقبل المغرب بينه وبين دولتين مستقلتين ولا يغيب عن أذهانكم ما لهذا السفر من مسؤولية ، وما سيكون له من أثر عميق في مغرب الغد وانها لمرحلة من المراحل الآتية في تاريخ مستقبل بلادنا وإذا كان لنا أمل قوي في نجاح المساعي ، فما ذلك إلا لأننا نؤمن بصداقة الشعب الاسباني تلك الصداقة التي ظهرت في السنين الأخيرة في الموقف النبيل الذي وقفته حكومة إسبانيا دفاعا عن الشعب المغربي والسيادة المغربية، كما لا أنسى تضامن رجالها المسؤولين سواء في إسبانيا أوفي المغرب حيال القضية الكبرى التي آمن بها الشعب المغربي، وليس هذا إلا من أجل ما تربطنا به أواصر التاريخ وتجمعنا معه حضارة مشاركة".

وقد علق الجنرال فرانكو رئيس الدولة الإسبانية على هذا الخطاب الملكي الكريم بقوله في تصريح أدلى به لصحيفة هرالد تريبون.

إن معاهدة الحماية قد اعترفت بوحدة التراب المغربي وسيادة الملك ،وكل ما يجري الآن هو جعل وحدة التراب المغربي وسيادة ملك المغرب حقيقة ملموسة أما تقسيم القطر إلى مناطق كما هو الأمر الآن فإن ذلك لن يتجاوز تقسيما إداريا سيمحى وتحل الوحدة محله، وأشار الجنرال فرانكو في موضوع آخر إلى أن المنطقة الشمالية تستعد الآن إلى تهيئة المغاربة لتسلم إدارة شؤونهم به دون أن يحدث أي صدام من جراء تسلم السلطة إلى أيدي المغاربة.

وألقى الملك محمد الخامس. طيب الله ثراه عند الشروع في المفاوضات التي ترأسها من الجانب الاسباني الجنرال فرانكو خطابا تحدث فيه عن الوحدة الترابية للمملكة وعن ضمان المغرب للمصالح الاسبانية قال فيه:

الحمد لله وحده.

فخامة رئيس الدولة الاسبانية ، إن هذه اللحظة السعيدة التي نعيشها معا لتعتبر من الأحداث التي سيكون لها شأن في تاريخ علاقات بلدينا فقد كنا دائما نأمل ان يقع هذا اللقاء لما نتوسم فيه من الخير العظيم للامتين، ولا يسعنا هنا إلا نشكر لكم عواطفكم النبيلة التي أوعزت لكم بإتاحة هذه الفرصة التاريخية والتي سبق لها أن تجلت في مواقف صريحة مازلنا نذكرها ونعترف بجميلها ، ونحن إذ نقوم بهذه الزيارة نود أن تكون فاتحة عهد جديد لعلاقات بين دولتينا ونأبى إلا أن نؤكد مرة أخرى ما نعلقه من أهمية على صداقة إسبانيا وحسن جوارها : فالمغرب في عهده الجديد يرى كل خير وفائدة في التعاون معها وتبادل المنافع والمصالح التي ستجني من ورائها الأمتان أحسن الثمار ، لذلك نحن راغبون في إجراء مفاوضات معكم لتنظيم هذا التعاون على أساس من احترام سيادة البلدين واستقلالهما.

وغني عن البيان ان علاقتنا الجديدة ستبنى على أمتن الأسس الثابتة إذا ما تحققت مطامح الأمة المغربية في الوحدة. تلك الوحدة التي تضمنها المعاهدات الضمانة الصريحة. وغير خاف ما خلفته تجزئة الأرض المغربية إلى مناطق من المصاعب والمشاكل المادية والمعنوية في حياتنا السياسية والاقتصادية ، ونحن متيقنون من ان إسبانيا التي وقفت بجانب المغرب في احرج الأوقات ستلبي هذه الرغبة بما عاهدناه فيها من أريحية وشمم وان المغاربة لينتظرون بتلهف من هذا الاجتماع التاريخي ان يزيل من داخل أرضهم تلك الحدود والفواصل التي هي رمز لعهد تصرم، عهد الحجر والحماية، وان الاعتراف بوحدة التراب المغربي في دائرة الاستقلال لا يتنافى مع احترام مصالح إسبانيا والإسبانيين المستوطنين في المغرب.

فنحن حريصون على رعايتها مستعدون لتقديم الضمانات اللازمة للإسبانيين القاطنين في بلادنا وعلى صيانة أرواحهم وأموالهم وحرياتهم مستهدفين من وراء ذلك إلى إقرار تساكن ودي لا يمس من سيادتنا الوطنية.

وخير ما تبنى علاقتنا المقبلة هو الثقة المتبادلة بين البلدين ، ونحن عند ما نلقي نظرة على الماضي نجد عوامل كثيرة لهذه الثقة ، ولا بد أن نعتبر قبل كل شيء ما بين بلدينا من روابط تاريخية عريقة في القدم وما يعتزان به من تراث حضاري مشترك له أثره الفعال في التقارب بين شعبينا والتمازج بين عقليتهما ".

وقال الجنرال فرانكو في خطاب افتتاح تلك المفاوضات: وعليه تعاقب ثلاثين عاما من السلم الموصول تم إقرار مطامح الشعب المغربي بإعلان سلطان المغرب للاستقلال فإن الأمة الاسبانية تضع إرادتها وروح المعونة لجعل ذلك الاستقلال استقلالا فعليا وقد كانت رغبة الشعب المغربي دائما ان يرى موحدا ماجراه الأقوياء في ساعة شقية وعلينا أن نسر بأن تلك التجزئة لم تكن إلا إدارية لأن المغرب لم يفقد أبدا وحدته الدولية، ولأن تلك التجزئة قد مكنت الشعب المغربي والأمة الإسبانية في ساعة صعبة من إظهار إخلاصها للسلطان ونبذها لنقض الأوفاق والتعدي على الحقوق وعليه فنحن لن نكون مخلصين لمشاعر الأخوة نحو المغاربة إذا نحن لم نجدد في هذه الفرصة عزمنا على احترام وحدة الإمبراطورية وتقديم الوسائل حتى تصبح الوحدة وحدة فعلية.

إن حكومتي تؤمل أن تتم سيادة السلطان الفعلية على جميع التراب وان تمكن الشعب المغربي من أن يعود إلى الهيمنة على مصائره وإن الاستقلال الذي لا يكون مصحوبا بالسيادة الحقة استقلال لا يستجيب لروح الأوفاق التي وردت فيها وحدة الإمبراطورية والسيادة المغربية شيئا موحدا.

وقال جلالته في الخطاب الذي وجهه إلى رعاياه الأوفياء عندما حل بمدينة تطوان:

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

رعايانا الأوفياء

إنها منة من الله وفضل عظيم أن نقف اليوم بينكم في هذه المدينة ذات المجد التاريخي وأحد معاقل الحضارة المغربية الأندلسية وفي هذا الشطر من مملكتنا عرين الأبطال وموقع الصناديد من رجال الريف الأبرار أولائك الذين كان لهم ذكر وما زال في تاريخ بلادنا قديمه وحديثه وسيظل باقيا زاهرا على مر الأعصار ولقد شهدت هذه الناحية من مملكتنا الشريفة نفس المراحل التي اجتازها باقي المغرب في تاريخه ونالها من خيرها وشرها ما ناله، فبعد ان كانت البلاد موحدة في عهود الاستقلال الطويلة الأماد تجلت في مطلع هذا القرن ظروف وأحوال وظهرت مطامع دولية استهدفت لها بلادنا وأدت في النهاية إلى تجزئتها وتقسيمها مناطق تقوم بينها حواجز مصطنعة وهكذا فرض على المغرب نظام حجر وحماية واصبح مناطق مختلفة الأنظمة والوضعيات فنال ذلك من السيادة المغربية ولم يتح لإرجاء البلاد انسجام في تطورها ورقيها قضينا على الحجر والحماية ولقد كانت هذه الوضعية الشاذة التي لم يرض عنها الشعب المغربي في يوم من الأيام ولا منطقة من هاتيك المناطق مدعاة قلق وتوتر حينا ومقاومة حينا آخر وقضى الله أن ننتبوأ عرش أجدادنا المقدسين ونحن متذرعون بمبادئ الأسلاف في الذب عن حوزة البلاد والنضال في وحدتها ولقد قطعنا ونحن في طليعة شعبنا ما يزيد على ربع قرن في معاناة أطوار هذا النضال فاقتضانا جهودا وتضحيات وأقحمنا في مضايق ما كان الخروج منها بمستطاع لولا أنا تذرعنا لها بالجلد والصبر والإيمان وبتفانينا في المصلحة العامة ونسيان الذات وهكذا انتهى بنا الصراع المرير بمجرد رجوعنا من منفانا السحيق إلى القضاء على عهد الحجر والحماية إلى إعلان عهد الحرية والاستقلال في التصريح الصادر في الثاني من شهرمارس سنة 1956.

إن السيادة المغربية كل لا يتجزأ ولن تكون لها ثمراتها إلا إذا تمت لبلادنا وحدة ترابها وانضمت تحت التاج الذي تلتف حوله البلاد كلها وذلك ما نادينا به وضحينا من أجله وفي سبيل إنجازه ولم نتوان بأثر رحلتنا الموفقة إلى فرنسا في إعداد العدة للقيام برحلتنا الميمونة إلى الديار الإسبانية.

مراعاة الخلاف ومكانتها عند المالكية

■ إعداد الأستاذ : عبد الحكيم واحسين

■ كثيرة هي الأصول التي اعتمدها المذهب المالكي في عملية التفريع الفقهي، وكثيرة هي أيضا الدراسات التي تناولت هذه الأصول بالبحث والتنقيب...

ولكن أصل " مراعاة الخلاف" لم يختص بنفس الدرجة من الاهتمام حتى إن الدكتور عمر الجيدي رحمه الله قال :" وما يزال الغموض يحيط بها من كل جانب حتى الآن"

فما المقصود بمراعاة الخلاف؟ وما هي مكانتها عند المالكية؟ ولماذا لم تحظ بنفس القدر من العناية مقارنة مع بقية الأصول؟

عرف أبو عبد الله ابن عرفة التونسي (ت 803هـ) مراعاة الخلاف بقوله:« إعمال دليل في لازم مدلوله الذي أعمل في نقيضه دليل آخر » والمراد بالدليل : النص أو القياس ،. والمدلول : هو الحكم المستند إلى الدليل، ولازم المدلول : هو الأثر المترتب عن ذلك الحكم ، فحقيقة مراعاة الخلاف إذن هي الاعتداد بالرأي المعارض لمسوغ.

وقد استدل المالكية على مشروعيتها بتصرفات وأقوال صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم على وفقها، من ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في غلام ، فقال سعد: هذا يا رسول الله ابن أخي عتبة بن أبي وقاص عهد إلي أنه ابنه، انظر إلى شبهه ، وقال عبد بن زمعة : هذا أخي يا رسول الله ، ولد على فراش أبي من وليدته ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شبهه فرأى شبها بينا بعتبة فقال :« هو لك يا عبد بن زمعة ، الولد للفراش وللعاهر الحجر، واحتجبي منه يا سودة بنت زمعة " فلم ير سودة قط

فالأصل في كل نكاح أو ملك يمين يتأتى فيه الوطء أن الولد يكون منه ، فيصير الولد ابنا للواطئ يجري بينهما التوارث وغيره من الأحكام سواء كان موافقا له في الشبه أو مخالفا، وهذا الأصل ظاهر قوي كما جعله الشرع وعليه تكون سودة أختا للولد المتنازع عليه لأنه الحق بأبيها.

في المقابل نجد احتمالا خفيا ضعيفا مبنيا على الشبه ، فلا يعول عليه عند وجود القوي.

مع ذلك فقد راعى الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الخفي الضعيف وأعطاه أثره وحكمه فقال لسودة رضي الله عنها :« احتجبي منه » لما رأى الشبه الواضح بعتبة بن أبي وقاص، وعليه ، تكون سودة أجنبية عن الولد.

فالرسول صلى الله عليه وسلم راعى الدليلين كليهما، وأعطى كل واحد منهما ما يناسبه من الحكم، أعطى للفراش حكمه فألحق الولد بصاحبه . الذي هو زمعة. وأعطى للشبه حكمه فأمر بنت صاحب الفراش التي هي سودة بالاحتجاب من الولد.

والنصوص الدالة على العمل بمقتضى مراعاة الخلاف كثيرة أورد أبو إسحاق الشاطبي بعضها في كتابيه " الاعتصام" و" الموافقات"

هذا ، ونجد كتب المالكية ملأى بالشواهد التي تبرزالاعتماد الكبير في المذهب على مراعاة الخلاف ، مثال ذلك قول ابن رشد في البيان والتحصيل :«من أصل مالك مراعاة الخلاف» وقول المقري :«من أصول المالكية مراعاة الخلاف» وقول أبي إسحاق :« وهو. أي مراعاة الخلاف . أصل في مذهب مالك ينبني عليه مسائل كثيرة »

ولعل هذا ما حدا بالشيخ عبد الحي الكتاني في مقدمة فهرس الفهارس والأثبات إلى اعتبارها أحد الخصائص الخمسة للمذهب المالكي.

وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا أغفل بعض علماء المالكية ذكر مراعاة الخلاف بين أصول المذهب المالكي؟ والجواب أن بعض المالكية لا يعتبرونها حجة كابن عبد البر واللخمي والقاضي عياض ، وبعضهم يعدها نوعا من الاستحسان كما صنع الشاطبي في الاعتصام حيث قال :« إن من جملة أنواع الاستحسان مراعاة خلاف العلماء»

والبعض الآخر يذكرها في باب التعارض والترجيح ، وبعضهم توقف لعدم اطراد مراعاة الخلاف في جميع الفروع وهذا ما أشار إليه ابن حمدون بقوله:" أما مراعاة الخلاف فتارة وتارة، ونظمه ابن أبي كف قائلا:

ورعي خلف كان طورا يعمل
به وعند كان طورا يعدل

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن مالكا رضي الله عنه يأخذ بمراعاة الخلاف من باب الهوى والتشهي، بل إنه يأخذ بها إذا كان الخلاف من أهل في محله بدليله، فهو لا يراعي الخلاف إلا إذا كان معتبرا، وإلا كان مجرد الاختلاف موجبا لأخذ به ، وهذا أمر واضح البطلان.

إن الحق الذي لا مندوحة لنا من الاعتراف به أن مراعاة الخلاف أصل تشريعي عظيم يكتسي أهمية بالغة تتمثل في النقاط الآتية:

1. الحفاظ على مصلحة المكلف ودرء المفسدة عنه بما يوافق سنن التشريع ومقاصد الشارع ، فقد يرتكب المكلف فعلا منهيا عنه عند مجتهد ، فإذا رتبنا على ذلك الفعل الأحكام التي تناسبه من فسخ أو إبطال فإنه يؤدي إلى أمر أشد من مقتضى النهي، فيراعي المجتهد قول واجتهاد من يصحح هذا الفعل ، ويعمل ويرتب عليه آثاره ، ويبقى الحالة على ما وقعت عليه ، لأن ذلك أولى من إزالتها لتعلق بعض الحقوق بها، ولدفع الضرر الأشد ، وهذا يمثل قمة التيسر ورفع الحرج وهما من أبرز سمات التشريع الإسلامي.

2. مراعاة الخلاف ترفع الخلاف بين الأئمة أو تقلله، ومعلوم أن الاختلاف بين العلماء مظهر حضاري عظيم مادام منطلقة الحجة والبرهان ، وغايته إدراك الحق.

3. مراعاة الخلاف تناسب المنهج الاجتهادي للمذهب المالكي لتعدد أصوله وقواعده ، واختلاف مدارسه الفقهية مع ما ينتج عنه من مسائل وأقضية تحتاج إلى حلول سريعة لرفع الحرج وإزالة الضرر.

4. مراعاة الخلاف تفتح المجال واسعا أمام أهل الخبرة من الفقهاء ورجال القانون لتقنين أحكام الشريعة الإسلامية وذلك بانتقاء الأحكام بما يناسب الأفراد والمجتمع.

5. كما تفتح مراعاة الخلاف للقضاة هامشا واسعا لتطبيق الأحكام دون التقيد بالمنصوص في المذهب أو الراجح إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة معتبرة.

وختاما أقول: لقد أصاب عمر الجيدي رحمه الله حين وصف مراعاة الخلاف بقوله :« والمسألة شائكة فعلا"

كتاب صدر

مفاخر البربر

لمؤلف مجهول

دراسة وتحقيق

عبد القادر بوباية

دار أبي رقراق للطباعة والنشر

كتاب" مفاخر البربر " المؤلف عام 712 هـ يعد وثيقة ثمينة في التاريخ المشترك للمغاربة وتاريخ الغرب الاسلامي ، وأنساب البربر وعلمائهم ، ورجال التصوف والفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والعلوم ، اهتم مؤلفه بأن أورد إثنين وسبعين . 72 . ترجمة وافية لعلماء برابر مغاربة برعوا في شتى العلوم الإنسانية والتجريبية.

قد جاء في " مفاخر البربر" معلومات قيمة عن تاريخ المغرب خاصة في الفترة التاريخية الواقعة ما بين القرن الرابع وبداية القرن الثامن الهجريين ، والتي لم يتعرض لها المؤرخون السابقون عن صاحب " المفاخر"

وفي هذا السياق : يؤكد العلامة والمؤرخ محمد المنوني فيقول :« إن المؤلف المجهول خلال عروضه يورد معلومات ينفرد بها عن أي مصدر آخر مغربي » . إن صاحبه أورد قصيدة لشرف الدين البوصيري ت 696هـ التي لم ترد في ديوانه المنشور تتألف من تسع وخمسين . 59 بيتا يمتدح فيها الشيخ الصوفي : أبا مدين شعيب وشيوخ الصوفية في المغرب . عن صفات ومزايا البربر يثبت المؤلف المجهول:« إن البربر قوم وضع الله فيهم السماحة والرأفة والرحمة للغرباء، ويسد الله بهم الثغور . ويشد بهم عضد المسلمين، ويعز بهم الدين، ومن يقرأ هذا السفر سيجد فيه معلومات تاريخية جديدة ترفع اللبس المتراكم في تاريخنا قديمه وحديثه.

إن هذا الكتاب سيجد فيه الباحثون والمختصون وغيرهم ضالتهم فهو مرجع فريد لا يمكن تجاوزه.

خصائص لغة الضاد

تنقسم البشرية إلى شعوب مختلفة، وهذا الانقسام أثرت فيه عوامل كثيرة أهمها اللغات. ففي العالم يوجد ما يزيد على ثلاثة آلاف لغة وكل لغة لها من الخصائص ما يميزها عن الأخرى. وكل واحدة لها كيان لغوي خاص وهيكل لساني متميز مما يؤدي حتما إلى اختلاف التراكيب الكلامية والأساليب الدلالية.

واللغة العربية إحدى تلك اللغات، فهي من اللغات السامية وهي الوحيدة التي حباها الله بأسرار كثيرة، ولطائف جمة جعلتها تتمتع بمحاسن ومفاخر قل ما تتوفر في لغة من اللغات الأخرى فهي غنية في ألفاظها، بديعة في تناسق معانيها، سخية في مغازيها، عارية من النقص والعوز، ثرية بأساليبها، فيها الحقيقة والمجاز وفيها الحكم والعكم، والنظم والنثر، والمديح والهجاء وغير ذلك من الأساليب التي تبهر أولي الألباب، ويستسلم أمامها البلغاء والفصحاء، ولعل ذلك كان نتيجة ما تتميز به هذه اللغة من خصائص نجملها فيما يلي:

■ إعداد الأستاذ: محمد حمدو

1. الثراء والغنى في الدلالة على المعاني:

فألفاظ اللغة العربية سريعة الإجابة، كثيرة الإفادة تنقاد بسهولة لتفيد ما يراد منها من معاني ودلالات. وذلك بسبب حسن التراكيب، وجمال الأساليب بل إن من جود العربية وسخائها أنك ترى المعاني المتضادة توجد في كلام واحد.

تأمل قول عطاء بن صيفي الثقفي حيث جمع فيه بين معنيين متناقضين هي التعزية والتهنئة. فقال عطاء ليزيد بن معاوية حينما ولي الخلافة بعد موت الخليفة "رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله، قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه، وولیت فكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية، واشكر الله على أعظم العطية".

2. الثراء في التصاريف:

حيث تجد في اللغة مادة تشتق منها صيغ كثيرة سواء كان التصريف من الفعل أو من الاسم، فمثلا مادة "النصر" تبلغ تصاريفها في الماضي ثمانية وعشرين صيغة، وفي المضارع اثنين وعشرين بناء، وفي الأمر خمسين صيغ، فيكون مجموع التصاريف من الأفعال الثلاثة خمسا وخمس صيغة. أما الاسم فنشق منه اسم الفاعل واسم المفعول واسم التفضيل "، والتعجب وأسماء الزمان والمكان والمبالغة وجمع التكسير إلى غير ذلك من التصاريف التي بلغت مائة صيغة.

3. الإيجاز والاختصار:

وهو إفادة المعنى الكثير باللفظ القليل: كقول الله تعالى:" الحمد لله رب العالمين" هذا اللفظ القليل اليسير يفيد أن الحمد صادر من أي حامد، إلى الأزل وإلى الأبد، مختص بالمعبود، دال على كل أفراد الحمد.

4. مرونة الجمل:

فاللغة العربية مرنة لها مجال واسع وميدان فسيح وهو أمر تخلو منه باقي اللغات، لأنها لغات ينظم فيها الكلام ويرتب ترتيبا محدودا ومخصوصا. ولنضرب لهذه المرونة بمثال. نأخذ هذه الجملة" ضرب زيد عمرا" فيمكن أن تنظم فيها جملا كثيرة هكذا:

1. ضرب زيد عمرا البارحة.
2. زيد ضرب عمرا البارحة.
3. زيد ضارب عمرا البارحة.
4. الضارب عمرا البارحة زيد.
5. عمر ضرب من زيد البارحة.
6. الضاربه زيد البارحة عمرو.
7. الذي ضرب عمرا البارحة زيد.
8. الذي ضربه زيد البارحة عمرو.

إن هذه الجمل كلها وإن كان بينها فرق في صياغة الألفاظ إلا أنها تفيد معنى واحدا وهو أن زيدا ضرب عمرا "، ولا فرق أن تبدأ بالفعل أو الفاعل أو المفعول أو الظرف، وهذا أمر لا يوجد في باقي اللغات كالانجليزية مثلا إذ يتعسر عليك أن تطبق نفس الصورة لعدم مرونة هذه اللغات.

هذه مقتطفات عن خصائص اللغة العربية قلما تمتلكها لغة أخرى، فهي لغة تمتاز بمرونة وسخاء في المعاني، لغة معطاء في تصاريفها، وتراكيبها سخية في معانيها وبهذا استحقت أن تتميز عن باقي اللغات.

حصة شهر ربيع الأول لعام 1426 لطول وعرض مدينتي الرباط وسلا بتوقيت جرينويش

الأيام	ربيع الاول 1426	أبريل ماي 2005	الصبح	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
			س : د	س : د	س : د	س : د	س : د	س : د
الأحد	1	10	30:4	00:6	33:12	06:4	58:6	17:8
الاثنين	2	11	29:4	59:5	33:12	06:4	59:6	18:8
الثلاثاء	3	12	27:4	57:5	33:12	06:4	00:7	19:8
الأربعاء	4	13	26:4	56:5	32:12	06:4	01:7	20:8
الخميس	5	14	24:4	55:5	32:12	06:4	01:7	20:8
الجمعة	6	15	23:4	54:5	32:12	06:4	02:7	21:8
السبت	7	16	21:4	52:5	32:12	06:4	03:7	22:8
الأحد	8	17	20:4	51:5	31:12	06:4	04:7	23:8
الاثنين	9	18	18:4	50:5	31:12	06:4	05:7	24:8
الثلاثاء	10	19	17:4	49:5	31:12	06:4	05:7	25:8
الأربعاء	11	20	15:4	48:5	31:12	07:4	06:7	27:8
الخميس	12	21	14:4	46:5	31:12	07:4	07:7	28:8
الجمعة	13	22	12:4	45:5	30:12	07:4	08:7	29:8
السبت	14	23	11:4	44:5	30:12	07:4	08:7	30:8
الأحد	15	24	09:4	43:5	30:12	07:4	09:7	31:8
الاثنين	16	25	08:4	42:5	30:12	07:4	10:7	32:8
الثلاثاء	17	26	06:4	41:5	30:12	07:4	11:7	33:8
الأربعاء	18	27	05:4	40:5	30:12	07:4	12:7	34:8
الخميس	19	28	03:4	38:5	29:12	07:4	12:7	35:8
الجمعة	20	29	02:4	37:5	29:12	07:4	13:7	36:8
السبت	21	30	01:4	36:5	29:12	07:4	14:7	37:8
الأحد	22	ماي	59:3	35:5	29:12	07:4	15:7	38:8
الاثنين	23	2	58:3	34:5	29:12	07:4	15:7	39:8
الثلاثاء	24	3	57:3	33:5	29:12	07:4	16:7	40:8
الأربعاء	25	4	55:3	32:5	29:12	07:4	17:7	41:8
الخميس	26	5	54:3	31:5	29:12	07:4	18:7	42:8
الجمعة	27	6	53:3	30:5	28:12	07:4	19:7	43:8
السبت	28	7	51:3	30:5	28:12	08:4	19:7	45:8
الأحد	29	8	50:3	29:5	28:12	08:4	20:7	46:8
الاثنين	30	9	49:3	28:5	28:12	08:4	21:7	47:8

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1114
السنة39
الجمعة 27 ربيع الأول 1426 هـ
الموافق 06 ماي 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

القرآن قاعدة الإسلام وقطب الأحكام

محاضرة لفضيلة العلامة المرحوم الحاج أحمد ابن شقرون

■ لقد عرف العلماء القرآن العظيم بأنه هو اللفظ المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته وهو الحجة العظمى بيننا وبين ربنا، وهو العروة الوثقى التي لاانفصام لها، قال تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا" وفي جامع المعيار عن الإمام المازري قال:«القرآن قاعدة الإسلام، وقطب الأحكام، ومفزع أهل الملة، ووزرهم، وآية رسولهم، ودليل صدق دينهم»، وآياته تنيف على ستة آلاف آية، جلها متعلق بالتوحيد، والأدلة الدالة عليه، ورد عقائد الزيغ والإلحاد، قال ابن العربي في الأحكام عن بعض أشياخه: إن سورة البقرة وحدها مشتملة على ألف أمر، وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر، ولعظيم فقهها أقام ابن عمر في تعلمها ثمان سنين، والقرآن العظيم لاتنقضي عجائبه ولاتنحصر أحكامه ولاتزال كل يوم تظهر منه لطائف وأسرار، مادام المفكرون في الوجود، وعليه تتنزل أحكامه وإشاراته، لأنه قول رب حكيم بل هو أحكم الحاكمين سبحانه قال سيدنا علي كرم الله وجهه: ماترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كتاب الله وإذا راجعنا أبواب الفقه فقلما نجد بابا إلا وأصلها مقتبس من القرآن العظيم صراحة أو إيماء قال في المعيار عن الشيخ أبي مدين إن للقرآن نزولا وتنزيلا أما النزول فقد تم بموته عليه السلام وأما التنزيل على الوقائع واستنباط الأحكام فلم يزل إلى آخر الدهر كتاب فقه إسلامي يعد جامعة ورابطة للأمة الإسلامية، وهو حياتها التي تدوم ما دام، وتنعدم إذا انعدم، بل هو جزء لايتجزأ من تاريخ حياة الأمة الإسلامية في أقطار المعمور وهو معجزة من مفاخرها العظيمة لم يكن مثله لحقوق المجتمع الإسلامي بل البشري، وبه كمل نظام العالم، فهو جامع للمصالح الاجتماعية بل والأخلاقية.

إن فقهنا بين الأحوال الشخصية التي بين العبد وربه من صلاة وصوم، وزكاة، وحج، ونظافة كغسل البدن كلا من الجنابة، أو للجمعة والعيدين، أو بعضا وهو الوضوء عند أداء الفرائض الخمس في اليوم والليلة، وسن أمور الفطرة من ختان، وسواك، وتقليم أظفار، وبذلك نرى القرآن العظيم قاعدة الإسلام والقطب الذي تدور عليه الأحكام، والكتاب العظيم الذي جمع فأوعى ، والحصن الحصين الذي لم يقع فيه تفريط في شيء من الأشياء ولا في جزء من الأجزاء، ولا في حكم من الأحكام، جاء في صحيح الإمام مسلم عن سيدنا سلمان قال: قال لنا المشركون إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة، قال: أجل، إنه نهانا أن يستنجي أحد بيمينه، ونهانا عن العظام، وأرشدنا الفقه إلى تجميل الثياب في الجمعة والعيدين ومس الطيب، كما أرشد إلى تحسين حال المجتمع العام فأرشد إلى ما يحفظ الصحة وتجنب مايضرها وتهذيب الأخلاق فأمر بالصدق في المعاملات، والوفاء بالعقود والعهود، وأوجب ترك الذنوب من شرب خمر وغيبة ونميمة وشهادة زور، وانحراف في الأحكام، أو تحريف لحلال أو حرام.

فلو أن المسلمين اليوم عملوا بأحكام الفقه والدين كما كان آباؤهم لكانوا أرقى الأمم وأسعد الناس، كما جعل للفقراء حظا في مال الأغنياء بالزكوات والكفارات وهذا أساس المبادئ الاشتراكية المعتدلة التي أسست لها الجمعيات الكبرى في أوروبا، كما شرع الحج ليحصل اجتماع عام لسائر الأمم التي تدين به ليستفيد بعضهم من بعض، كما شرع اجتماعات أخرى أصغر وأيسر في الجمع والأعياد.

وبين كيفية تأسيس العائلات فندب إلى الزواج، وحث عليه، ورخص في الطلاق لما عسى أن يقع من تشاجر الزوجين ومايتعلق بذلك من نحو إيلاء وظهار، كما بين آداب دخول البيوت من الاستئذان والسلام، وجعل احتراما خاصا لكل إنسان ، وهو مايعبر عنه اليوم بالحرية الشخصية وسدل الحجاب بين الرجال والنساء الأجنبيات محافظة على النسل وإبعادا للظنة وإراحة لكل ضمير.

وبين أحكام المعاملات من بيع وإجارة ورهن وقرض وقراض وغيرها من المعاملات المالية التي تقتضيها القاعدة التي عليها مبني علم الاجتماع البشري وهي أن الإنسان مدني بالطبع محتاج إلى أبناء جنسه كما أنه بين معدل فصل الخصومات سواء في المال أو الدماء أو الأعراض.

وبين مايلزم لحفظ المجتمع العام من نصب الإمام ومايجب له من الطاعة والاحترام، وبين خطة المحتسب وبقية الخطط.وأمر بحسن الجوار وإقامة الحدود على من خالف نصوص الشريعة، وبين التأديبات والزواجر والقصاص، ورفع الأضرار، وبالجملة فقد استقصى الشؤون الاجتماعية وبينها حتى دخل مع الرجل لبيته وحكم بينه وبين زوجته مبين ماله عليها وما لها عليه، وفصل ماعسى أن يقع بينهما من الخصومات حتى حكم بين الرجل وولده، وبينه وبين نفسه حتى بعد مماته .

ثم بين ميراثه وكيفية دفنه، ثم أوصى بأيتامه خيرا، وبين كيف يوصي على أولاده وبين قدرما يوصي به، وكيفية الحجر على السفيه وبين الرشيد، كل ذلك لينتظم أمر الحياة ويعيش المسلم عيشة راضية يتفرغ معها لإعداد الزاد ليوم المعاد، وعليه فالفقه الإسلامي نظام عام للمجتمع البشري، تام الأحكام لم يدع شاذة ولا فاذة، وهو القانون الأساسي لدول الإسلام والأمة الإسلامية جمعاء، وإن انتظام أمر دول الإسلام في الصدر الأول وبلوغها غاية لم تدرك في العدل والنظام لدليل واضح على ما كان عليه الفقه من الانتظام وصراحة النصوص وصيانة الحقوق ونزاهة القائمين بتنفيذ أوامر الله، ودليل على ما كان لهاتيك الدول من التمسك بحبله المتين. ومادخلت الأمم الكثيرة في الإسلام أفواجا واتسعت دائرة الإسلام فانتشرت الأمة الإسلامية في زمن قليل إلا باحترام الحقوق والعمل بقواعد الفقه الإسلامي، بجمع مكارم الأخلاق ومحاسن المعتقدات فالأمة الإسلامية لاحياة لها بدون الفقه ولارابطة ولاجامعة تجمعها سوى رابطة الفقه وعقائد الإسلام فهي دائمة بدوام الفقه مضمحلة باضمحلاله، فمهما وجد أهل الفقه واتبعوا كانت الأمة إسلامية، ومهما انعدم الفقه والفقهاء لم يبق للأمة اسم الإسلام.

ثم لما نهضت أوروبا نهضتها المعروفة للرقي العصري فأول حجر وضعته من أساس مدنيتها الزاهرة هو العدل وسن القوانين بالتسوية في الحقوق، إذ لا يعقل أن تترقى أمة وحقوقها مهضومة، وأفرادها مظلومة، والكل يعلم أن بعض قوانينها مقتبسة من الفقه الإسلامي كقانون نابليون الأول وغيره من ملوك أوربا، فالفقه الإسلامي أصل التمدن العصري الحديث والفضل كل الفضل في احترام الحقوق وصيانتها وتشييد منارها للإسلام ومن مكارم الفقه الإسلامي بل من معجزاته أنه تم نظامه وجمعه في مدة نحو عشر سنين فلم ينتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدار الآخرة حتى تركه تام الأصول، ولم يمض على الأمة قرن ونصف حتى ألفت تآليف مهمة في فروعه، ولبسط أحكامه وتثبيت أصوله على فروعه مما يدل على مكانة الفقه الإسلامي التي لم تبلغها أمة الرومان التي يتبجح أهل التاريخ بأنها كانت في المقدمة. مما يدل على مكانة الفقه الإسلامي وأنه بوحي سماوي وأنه دين متين، ثم نقول والحق أحق أن يقال لم يوجد شرع مزج بين المصالح الدينية والدنيوية وصير هذه عين هذه وبين قانون الاجتماع البشري والعدالة التامة بوجه يعم جميع المصالح الاجتماعية كالشرع الإسلامي.

ولذلك كان الخليفة الأعظم عندنا رئيسا دينيا ودنيويا معا فهو جامع وظيفتين عظيمتين. ولذا عرفوا الإمامة العظمى بأنها رئاسة عامة في الدين والدنيا توجب للمتصف بها أن يطاع فيما يستطاع. أما القوانين الوضعية فلا تعلق لها بأمر العبادة والآداب النفسية وإنما هي ضبط لمعاملة الأفراد والأمم بتبادل المصالح، وأيضا الفقه الإسلامي هو بأمر إلاهي فالعمل به طاعة الرب والعامل به له أمل الثواب في الآخرة وعدم العمل به معصية متوعد عليها بالعقاب الأخروي زيادة على ماتقرر فيه من العقوبات الدنيوية فهو أمس بالنظام من بقية الشرائع والقوانين التي هي من وضع البشر.

فالفقه الإسلامي من مفاخر الأمة الإسلامية كيف لا وهو مؤسس على روح العدل والمساواة واحترام الحقوق الخاصة والعامة، والنظام الأتم، وتقرير الملك لذويه، واحترام النواميس الطبيعية ، وقد اعتبر درء المفاسد مقدما على جلب المصالح، وسد الذرائع والمصالح المرسلة ولاضر ولاضرار وتقديم الأهم على المهم، وبنيت أحكامه على الاعتدال لا إفراط ولاتفريط، فأحكامه يتغير الكثير منها بتغير الأحوال كما قال عمر بن عبد العزيز (تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور) وكما قال زياد بن أبيه لأهل البصرة في خطبته الشهيرة:" قد أحدثتم أحداثا لم تكن، وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة»، فهو صالح لكل أمة ولكل مكان وكل زمان وكانت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الأمم إلى يوم القيامة.

ومدة طفولة الفقه الإسلامي هي من لدن كونه جنينا إلى أن كمل خلقه فصار وليدا إلى أن سعى واكتمل قويا سويا، وذلك من أول بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاته، وكانت البعثة النبوية سنة (610) من ميلاد المسيح عليه السلام وكانت الوفاة النبوية سنة إحدى عشرة (11).

وأول آية نزلت من القرآن الكريم هي قول الله تعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم"وكان نزولها كما عند ابن اسحاق في (17)رمضان من عام البعثة في غار حراء ثم تتابع نزول القرآن وتشريع الشريعة في موضوعات التوحيد ورد العقائد الفاسدة وبيان الحجج الدامغة على إثبات وجود الله وإثبات النبوة، وبث مكارم الأخلاق، قال تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله).

"وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا".

"ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا" وقال تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"، ولذلك كان فقهنا مبتكرا ومقتبسا من قرآننا وسنة نبينا، أما من قال من علمائنا إن شرع من قبلنا شرع لنا فليس مراده أننا نطالع توراتهم مثلا ونقتبس منها الأحكام فهذا لا قائل به، ونذكر فيما يلي مادة الفقه الإسلامي فنقول: إن مادته تتألف من أمور أربعة هي:

أولا: القرآن الكريم أعني القراءات السبع التي هي متواترة بلا خلاف.

ثانيا: السنة الصحيحة أو الحسنة.

ثالثا: الإجماع

رابعا: القياس.

قال ابن رشد في المقدمات مانصه: وأحكام شرائع الدين تدرك من أربعة أوجه، أحدها:كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الثاني: سنة نبيه عليه السلام الذي قرن طاعته بطاعته وأمرنا باتباع سنته فقال عز وجل (وأطيعوا الله والرسول)وقال: "ومن يطع الرسول فقد أطاع الله" وقال: "وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا" وقال: (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) والمراد بالحكمة السنة، والثالث: الإجماع الذي دل تعالى على صحته بقوله: (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غيرسبيل المومنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)، لأنه تعالى توعد على اتباع غير سبيل المومنين فكان ذلك أمرا واجبا باتباع سبيلهم، الرابع: الاستنباط وهو القياس على هذه الأصول الثلاثة التي هي الكتاب والسنة والإجماع قال تعالى: "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم).

وقد بقي على ابن رشد الاستدلال والاستصحاب وشرع من قبلنا شرع لنا والاستحسان والمصالح المرسلة وهو الخامس وأوصلوا هذه التفاريع إلى تسعة وقالوا في التاسع أنه هو الاستقراء بالجزئي على الكلي وقالوا هذه تسعة أنواع كلها داخلة في الاستدلال .

وإذا أمعنت النظر وجدت أصل الأحكام واحدا وهو قول الله سبحانه (إن الحكم إلا لله) هذا وقد نزل القرآن منجما بحسب الوقائع قالوا نزل جملا جملا وآية آية مفرقة وربما نزل عشر آيات أو أكثر على حسب الوقائع والقضايا التي كانت تقع للمسلمين، فبين القرآن أحكامها وكثيرا ما كان الصحابة إذا نزلت نازلة تسارعوا للسؤال عن حكمها فينزل القرآن أو تبين السنة فيسارعون للامتثال فيكون ذلك أثبت في أذهانهم وأرسخ في قلوبهم. إذ الأمة كانت أمية لم تألف كتابا ولا كان فيها علم ولا تهذيب قبل الإسلام إلا ما كان فطريا فلطف الله بهم وأجراهم على سنة الكون في تلقين العلوم تدريجيا، وبذلك رد الله على الكفار الذين اعترضوا إنزاله منجما بقوله:" وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا" وقال:" وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا" وقال تعالى:" وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون".

فلم يكن القصد من إنزال القرآن أن يكون بين يديهم كتاب يتبركون بلفظه يقرءونه على الموتى فقط، بل القصد أن يعملوا بأحكامه، ويتهذبوا بتهذيبه، وتنتظم أحوالهم به، ويتخلقوا بأخلاقه حتى يصيروا به أمة مهذبة لها جامعة ورابطة وتهذيب تهذب به غيرها من الأمم، وهذا لايكون إلا بإنزاله منجما، ولو نزل دفعة واحدة لاشتغلوا بلفظه وتركوا معناه، وإذا تصفحت آيات الأحكام وجدت فيها أجوبة على أسئلتهم (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه"، "يسألونك عن الأهلة"، وهي أربع عشرة آية وردت على هذا النسق، نعم فيها واحدة سؤال اليهود وهي "يسألونك عن الروح"، وذلك كله تعليم للأمة فبقيت سنة إذا نزلت نازلة رفعوا السؤال لأهل العلم فأجابوا بما علموا أو قالوا لاندري. قال ابن عباس: مارأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسألوا إلا عن ثلاث عشر مسألة حتى قبض، كلهن في القرآن منهن يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه" قال: ماكانوا يسألون إلا عما ينفعهم، وروى أشهب عن مالك، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل فلا يجيب حتى ينزل عليه الوحي.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.